أكاديمية دراسات اللاجئين

دبلوم دراسات اللاجئين

٢٠١١-٢٠١٢

الدور البريطاني عموما ووعد بلفور خصوصا في التهجير واللجوء

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات دبلوم دراسات اللاجئين

إعداد: سماح حجاج

الرقم الجامعي: ٧٦٠٣١٩٠

إشراف: د. زياد الالا

برنامج دبلوم دراسات اللاجئين
رقم الدفعة: ٣
تاريخ الإعداد: ١٥/٣/٢٠١٢م

الدور البريطاني عموما ووعد بلفور خصوصا في التهجير واللجوء

في الحقيقة ، لم يكن وعد بلفورهوالوعد الأول الذي وعدت فيه دولة عظمى بحجم بريطانيا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين . إذ كان امبراطور فرنسا نابليون بونابرت سنة ١٧٩٩م وقبل إصدار هذا الوعد بمئة وثمانية عشر عاما قد وجّه نداء إلى يهود العالم للتجمع في أرض الله المقدسة واعتبرهم ورثة فلسطين الشرعيين وعليهم استرداد ما سلِب منهم بالغزو .

فما هي طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين اليهود والأروبيين ؟ ما هي الأسباب الفعلية التي جعلت دول أوروبا تعمل على إنشاء هذا الكيان ودعمه في المحافل الدولية بل واستصدار القوانين الدولية لحمايته؟ ! ما الذي كانت تحتاجه حقيقة امبراطوريتان عظيمتان ، كبيرتان ، بسطتا نفوذهما في أصقاع الأرض طولا وعرضا ، شرقا وغربا كفرنسا وبريطانيا من تعداد سكاني نسبيا كان ولا يزال بالنسبة لبقية الأمم هو تعداد صغير كاليهود ؟ ! ما الذي دفع بهما ولاحقا بالقوة الصاعدة أي الولايات المتحدة الأميركية إلى الاهتمام بأمر هذه المجموعة من الناس وتبني المشروع الصهيوني ومساندته ودعمه بشتى الطرق والأساليب وتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني مع إدراكهم أن فلسطين هي قلب العالمين العربي والإسلامي وبالتالي فإن عمقها ليس عربيا وحسب وإنما إسلاميا أيضا...؟

لكن قبل الإجابة عن هذه التساؤلات ،علينا في البداية أن نستعرض سريعا علاقة اليهود بالأروبيين والأميركيين قديما لندرك ماهية التغيير الذي طرأ على علاقة هذين الطرفين .

اليهود في المجتمع الأوروبي :

" بعد أن انتهى العصر الذهبي الذي عاشه اليهود في الأندلس فور سقوط الخلافة الاسلامية ، بدأ اليهود يعاملون معاملة قاسية من قبل الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن العاشر الميلادي . وازداد الأمر سوءا خلال الحروب الصليبية حيث كانوا يتنقلون مع الجيوش الصليبية كتجار حرب يجمعون الثروات مما أثار سخط البابوات وعامة الناس عليهم وأصبحت الكنيسة تمنع الجيوش الصليبية من مرافقة اليهود منذ القرن الثالث عشر .

بدأ طرد اليهود من أروبا على يد ملك ألمانيا فرديريك الثاني في ١٢٣٦ م وهو الذي كان اضطهدهم واعتبرهم عبيدا . ثم تبعه ملك فرنسا لويس التاسع عشرفي ١٢٥٤ م وانتهت حملات طرد اليهود من فرنسا سنة ١٣٩٤ م . ثم انتقلت عادة طرد اليهود إلى انجلترا فنزحوا منها إلى لتوانيا ثم إيطاليا فتركيا وشمال أفريقيا ومصر وغيرها.

وعندما اجتاح الطاعون أوروبا في القرن الرابع عشر تم طرد من تبقى منهم في فرنسا وانجلترا وألمانيا، إذ اعتبر اليهود مصدر الطاعون وناقلين لعدواه .

وتتابعت الحرب على اليهود باسم الكنيسة الكاثوليكية ومحاكم التفتيش في القرنين ١٥و١٦م ، وفي عام ١٤٩٢م أصدر ملك إسبانيا قرارا يقضي بطرد اليهود من إسبانيا وعدم عودتهم نهائيا إليها ثم تبعتها البرتغال وأصدرت قرارا مماثلا .

كانت الشعوب الأروبية قد تعودت أن تنظر إلى اليهودي المقيم بينها في أروبا نظرة عرقية دونية " **(١)** .

<u>رأي الأميركيين الأوائل في اليهود :</u>

ليس الأوربيون وحدهم الذين كانوا ينظرون لليهود هذه النظرة المليئة بالاحتقار والاشمئزاز، وإنما كان الأميركيون أيضا يشاطرونهم هذا الرأي وللاطلاع أكثرعلى المكانة الحقيقية التي كانوا يضعون فيها اليهود ،علينا أن نقرأ هذه " الوثيقة التاريخية التي يعود عمرها إلى ما قبل ٢٢٣ عاما لندرك أي مكانة لليهود كانت عند الشعوب ومسؤوليهم "والنسخة الاصلية منها موجودة في معهد فرانكلين – فلادلفيا وقد اقتبست من محاضر جلسات تشارلز بيكين جنوب كارولينا المنبثقة عن المؤتمر الدستوري لعام ١٧٨٩م المتعلقة ببنيامين فرانكلين ، وداخل المؤتمر المتعلق باليهود وهذا نصها ، قال فرانكلين : يوجد خطر عظيم على الولايات المتحدة الامريكية وهذا الخطر الخطير هم – اليهود -

أيها السادة : في أي أرض يحل بها اليهود ، ويستقرون بها يكبحون جماح المستوى الأخلاقي كما يخفِضون تجارة الشرف ، ويبقون منعزلين ولم يستوعبوا وكانوا ظالمين ، دائما يحاولون خنق الأمة ماليا كما حصل في البرتغال وإسبانيا منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة حيث وقعوا في قدرهم المؤسف ، وطردوا من أرضهم في إسبانيا والبرتغال .

ولكن أيها السادة : إذا أعاد العالم المتمدن اليهود وأعطاهم فلسطين وممتلكاتهم فسوف يجدون وسائل متعددة كيلا يعودوا إلى هناك – لماذا ؟ لأنهم مصاصو دماء مبتزون ، وأناس هذه ميزاتهم لا يستطيعون أن يعيشوا مع

بعضهم البعض بل يجب أن يعيشوا مع الغير أي المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عنصرهم ...

أيها السادة :إذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأميركية بالقانون في غضون أقل من مئة سنة فسوف يتدفقون إلى البلاد وبأعداد كبيرة ، وبهذا سوف يحكموننا ويهدموننا ويغيرون تكوين دولتنا التي نصير فيها نحن الأمريكيين الأصليين ننزف دماءنا ، ونضحي بأنفسنا وممتلكاتنا وحريتنا وهويتنا الشخصية والذاتية .

أيها السادة : إذا لم يطرد خلال ٢٠٠ سنة فإن أبناءنا سيكونون في الحقول يعملون كي يطعموا اليهود ،بينما يعيشون هم وأبناؤهم في مكاتب المحاسبة وعقد الصفقات منشدين طربا ويفركون أيديهم فرحا .

أيها السادة :إنني أحذركم إذا لم تطردوا اليهود إلى الأبد فإن أبناءكم وأبناء أبنائكم سيلعنونكم في قبوركم .ومن معتقداتهم أننا لسنا أميركيين رغم أنهم عاشوا بيننا لمدة عشر أجيال ،ذلك لأن الوحش المفترس لا يمكن أن يغيَر طباعه .

أيها السادة :اليهود خطر خطير على هذه البلاد، وإذا سمح لهم بالدخول فسوف يفسدون حضارتنا ،فيجب أن يطردوا بالقانون.

إن جميع الفوضى والاضطرابات التي تشهدها الولايات المتحدة اليوم هي من صنع اليهود .(أ.ه.)"**(٢)**

<u>تساؤل مشروع ...:</u>

بعد قراءة هذه السطور .... لا يتمكَن أحدنا من منع نفسه من الاستغراب و طرح عدد من التساؤلات المشروعة التي تثار حول أسباب هذا التغير الجذري في الموقف إزاء اليهود والذي استمرَ إلى يومنا هذا ... والانتقال بهم من مرتبة " قتلة المسيح " إلى النظر إليهم على أساس" أنهم شعب الله المختار ، والتعامل معهم

على اعتبار : " إن الروح القدس (المقصود الله) شاءت أن تنزل كل أسفارالكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب ، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا نحن النصارى أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها . "

<u>ألمانيا وبريطانيا تتبنيان المذهب البروتستانتي :</u>

يجدر بنا هنا أن نتذكَر أنَ إنشاء وطن قومي لليهود هو إحدى ركائز الإيمان بالمذهب البروتستانتي الذي اعتنقته كل من ألمانيا بريطانيا . واعتبارا من سنة ١٥٣٨ م ومنذ ذلك الحين صارت بريطانيا وباعتناقها هذا المذهب مؤيدة لليهود بكل قوتها كجزء من العقيدة الدينية التي تؤمن بها .

إن َتبني المذهب البروتستانتي من قبل هاتين الدولتين الأوروبيتين قد أعطى دفعا قويا لليهود من جهة وحسَن من وضعهم الاجتماعي والسياسي .... ومن جهة أخرى ، كرَس العداء السياسي والعسكري القائم أصلا بينهما وبين الكنيسة الكاثوليكية التي رفضت رفضا قاطعا هذه الآراء ومعها حليفتها فرنسا أكبر الدول الكاثوليكية في العالم ومن ورائها إيطاليا وإسبانيا**(٣)** .

" وصولا إلى القرن الثامن عشر(عصر التنوير) ، شهد وضع اليهود تحسنا ملحوظا في ظل الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة ١٧٨٩م وبدأ ينظر إليهم نظرة أفضل من قبل ، كما أن اندماج اليهود في الحياة الثقافية الأميركية بفعل التيار الديني اليهوسيحي البروتستانتي قد لعب دورا هاما في إدماج اليهود إلى حد ما في المجتمعات ، أكثر من ذلك شهد منتصف القرن التاسع عشر ولأول مرة في التاريخ الأوروبي وصول البارون الثري روتشيلد إلى البرلمان الإنجليزي ليكون بذلك أول شخص يهودي يصل إلى هذا المنصب سنة ١٨٥٨م " **(٤) .**

لم يكن هذا التغيير في العلاقة بين الأروبيين واليهود تغيُرا آنيَا أو طارئا أو وليدا للصدفة بدليل استمراره على قيد الحياة حتى يومنا هذا رغم الصعوبات والثغرات القانونية والمشاكل الأخلاقية التي واجهت الدول الغربية بسبب الانتهاكات الجسيمة التي مورست في سبيل إنشاء الكيان الاسرائيلي مما يدل على أن ما يجمع بين هذين الطرفين أقوى من أي حقوق أو قوانين أو شرائع ، إذ ارتبطت استمرارية حياة كل طرف بالآخر... فلا ديمومة لطرف دون الثاني .... فالاثنان يمنحان بعضهما البعض ما يريدانه من قوة و سيطرة ....

تاريخ علاقة اليهود بفلسطين :

بالعودة تاريخيا إلى علاقة اليهود بفلسطين ، فقد اليهود صلتهم بمدينة القدس تحديدا بين سنة ١٣٢-١٣٥م وهو" تاريخ آخر ثورة قام بها اليهود في عهد القائد الروماني جوليوس سيفروس الذي احتل القدس ودمرها ، ثم أقام الامبراطور الروماني هدريان مدينة جديدة فوق خرائبها سماها إيليا كابيتولينا حيث عرفت بعد ذلك باسم "إيلياء" وهو اسم هدريان الأول وحظِر على اليهود دخول القدس حوالي ٢٠٠سنة تالية وندرت أعدادهم نسبة إلى السكان طوال ١٨ قرنا" .**(٥)**

بقيت فلسطين في ظل الحكم الروماني الوثني بعد ذلك قرونا طويلة ثم الحكم الفارسي ثم الروماني النصراني من جديد ...

فلسطين في الحضن الإسلامي :

جاء عهد الدولة الاسلامية التي جابت فتوحاتها شرق الكرة الأرضية وغربها ، ولطالما كانت أفئدة المسلمين تهفو إلى بيت المقدس ، إذ كان المسجد الأقصى هوقبلة المسلمين الأولى وإليه أسرِي بسيد الأنبياء ومنه عرِج به صلىَ الله عليه وسلم إلى السماء " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " **(٦)** وجاء في حديث رسول الله ما يؤكد ما ورد في القرآن الكريم فقال النبي عليه الصلا والسلام : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا ." كما حثَ الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين على الرباط في بيت المقدس فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط ومن احتل ثغرا فهو في جهاد ". **(٧)**

من هنا وإجلالا لهذه المدينة المقدسة وتقديرا لمكانتها ، حضرأمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب بنفسه لاستلام مفاتيحها سنة ٦٣٦ م ، وهي المدينة الوحيدة في عهد الخلفاء الراشدين التي تولى خليفة بنفسه استلام مفاتيحها ، وقد شارك سيدنا عمر في الفتح أربعة آلاف من الصحابة وصدح صوت بلال فيها بالأذان ، بعد أن كان قد امتنع عن ذلك منذ وفاة رسول الله .

كتب سيدنا عمرلأهل القدس عهدا اشتهِر بالوثيقة العمرية **(٨)** تضمَنت الشروط المناسبة لعيش مشترك وكريم بين المسلمين والنصارى كما تضمَنت منع اليهود من دخول القدس نزولا عند رغبة البطريرك صفرونيوس بطرك المدينة المقدسة .**(٩)**

استمر الحكم الإسلامي يظلل أرض فلسطين حتى تاريخ سقوطها على يد الصليبيين سنة ١٠٩٩م وذلك بعد أن غاصوا في بحر من دماء المسلمين وقتلوا نحو ٦٠ ألفا في مسجدها **(٩)** "ويصف القس ريمند الانجيلي أحد شهود العيان ما حدث قائلا : وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل غيرهم رميا بالسهام أو أرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا في النار وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين الرجال والخيل ." **(١٠)**

عادت القدس إلى كنف الخلافة الإسلامية سنة ١١٨٧م على يد القائد صلاح الدين الأيوبي وذلك بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة مكملا ما بدأه من قبله القائدان الكبيران عماد الدين زنكي وابنه نورالدين محمود الشهيد **(١١)** وكانت واحدة من الأقاليم التي أولاها الخلفاء العثمانيون عناية خاصة وظلّت في

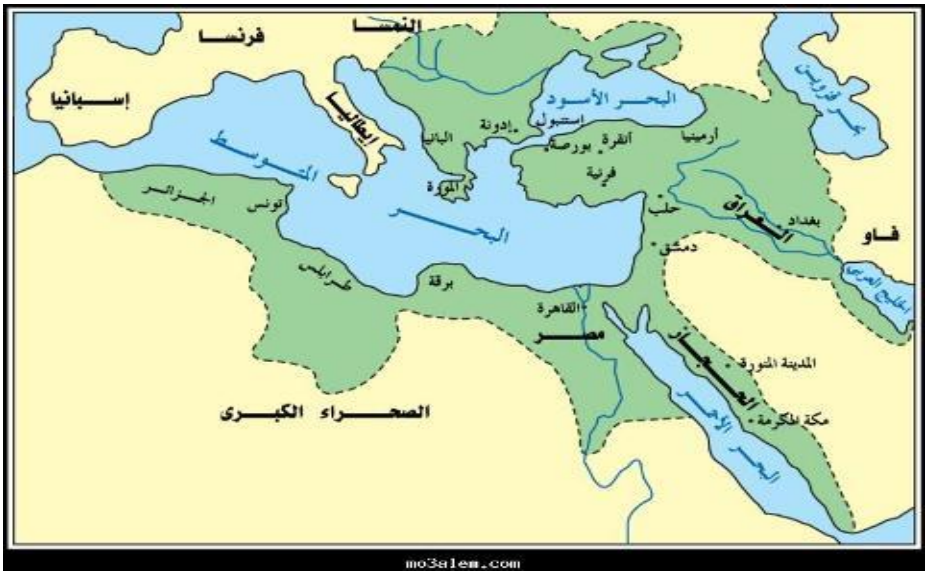

فلسطين جزء من الامبراطورية العثمانية سنة ١٩١٧م

أيديهم أربعة قرون تقريبا وحفظوها بسور القدس الذي نعرفه اليوم والذي بني في عهد سليمان القانوني**(١٢) .**

واستمر الحكم في فلسطين إسلاميا حتى تاريخ سقوطها من جديد في يد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م .

أهم أحداث فلسطين

العام	الحدث
٢٥٠٠-٢٠٠٠ق.م	استقرار القبائل الأمورية والكنعانية العربية في فلسطين
١٨٠٥ق.م	هجرة النبي ابراهيم من العراق إلى فلسطين
١٦٥٦ق.م	نزوح أحفاد سيدنا إبراهيم من فلسطين إلى مصر
٩٣٣ق.م	انتهاء حكم الملك سليمان بن داوود وانقسام المملكة اليهودية
٧٣٢ق.م	خضوع فلسطين للحكم الآشوري
٧٢٢ق.م	زوال المملكة الاسرائيلية
٦٠٨ق.م	عودة الحكم المصري إلى فلسطين

٦٠٥ق.م	خضوع بلاد الشام إلى الكلدانيين
٥٨٦ق.م	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس
٥٣٨ق.م	غارة الفرس على فلسطين
٣٣٢ق.م	غارة الاسكندر المقدوني على فلسطين
٦٣ق.م	دخول الرومان فلسطين
٤٠ق.م	دخول الفرس فلسطين مرة أخرى
٣٨ق.م	عودة الحكم الروماني للبلاد
٤ق.م	ولادة السيد المسيح ووفاة هيرودوتس الكبير
١٣٥ م	إخماد ثورة "بركوكب"اليهودي ضد الرومان وتشتت اليهود في أقطار العالم
٢٦٧ م	احتلال زنوبيا ملكة تدمر لفلسطين
٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدمر وعودة الحكم الروماني للبلاد
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين
٦٢٧ م	عودة الحكم الروماني
٦٣٦ م	الفتح الاسلامي لفلسطين
١٠٩٩ م	دخول الصليبيين القدس
١١٨٧ م	معركة حطين بين المسلمين والصليبيين واسترجاع القدس
١٢٦٠ م	معركة عين جالوت بين المماليك والتتار
١٢٩١ م	تطهير فلسطين نهائيا من الصليبيين على يد المماليك
١٥١٦ م	بداية الحكم العثماني الاسلامي
١٩١٧ م	الاحتلال البريطاني ووعد بلفور
١٩٤٨ م	إعلان دولة إسرائيل عقب الانسحاب البريطاني بساعات

في النظر إلى الجدول أعلاه **(١٣)** ، يتضح لنا أن الصلة قد انقطعت بين اليهود والقدس عمليا منذ ١٨٠٠ عاما وأن الحكم الاسلامي قد استمر حوالي ١٢٠٠سنة وهي أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر .

فما الدافع الحقيقي وراء مطالبة اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ؟ ولماذا ادَعوا أن فلسطين هي أرض الميعاد وأصروا على الارتباط بالعودة إلى هذه الأرض تحديدا وليس غيرها مع أنهم عاشوا فترات أطول في غيرها ؟ ! علما أن فكرة إقامة وطن يجمع اليهود ، كانت فكرة مرفوضة من قبل اليهودية الحاخامية الأرثوذكسية " التي تحرم العودة الجماعية الفعلية إلى فلسطين وتعتبرها تجديفا وهرطقة ومن قبيل " دوحيكات هاكتس " أي التعجيل بالنهاية ، فاليهودية تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته وأنها ليست فعلا بشريا يتم على يد البشر**(١٤)** ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية نحو القدس لأنهم يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم وأن عليهم انتظار المسيح المخلص بهم " الماشيح " أو " الماسيا "وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم .**(١٥)**

لكن مخلصهم لم يظهر حتى الآن وبالتالي ووفقا للمنطق الديني الذي تقوم عليه معتقداتهم الدينية فإنه لم يؤذن لهم حتى اللحظة الاستقرار في فلسطين ، فما الجديد الذي طرأ على بنية الفكر الديني اليهودي ودفعهم والأروبيين إلى الاتجاه بوجوب إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين ؟!

في حقيقة الأمر وبالتدقيق في الأجواء والظروف التي أحاطت بإنشاء الكيان الصهيوني ، نرى أن التغيرات التي طرأت إنما حدثت في المجتمع الأروبي وليس المجتمع اليهودي لكنه استغلها لصالحه وتحقيق مطامعه .

من أهم هذه المتغيرات :

١) ظهورحركة الاصلاح الديني "الحركة البروتستانية":

ركَزت هذه الحركة على الإيمان بالعهد القديم أي التوراة ، والإيمان بأن اليهود يجب أن يجمعوا في فلسطين كي يعود المسيح المنتظر الذي سيقوم بتنصيرهم وبالتالي يبدأ عهد جديد يمتد لألف سنة من السعادة .

تطوَر هذا الاهتمام بالتوراة بين البروتستانت (الذين شكلوا أغلبية السكان في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وهولندا ونصف سكان ألمانيا) باعتبارها كلمة الله العليا، ومن خلال قراءتهم للتوراة التي طبِعت ونشِرت بكل اللغات الأروبية ،ارتبطت فلسطين في الأذهان بكونها "أرض شعب الله المختار- اليهود" وفي سنة ١٦٢١م ظهرأول كتاب معروف في بريطانيا حول توطين اليهود في فلسطين لمؤلفه البريطاني السير هنري فنش بعنوان البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود. وقد تكرَس هذا الأمر في عقائد الأروبيين وفكرهم وأدبهم وفنهم وظهر في كتابات مشاهيرهم أمثال إسحاق نيوتن (١٦٤٣-١٧٢٧م) وجان جاك روسو(١٧٧٨-١٧١٢م) وظهرت انعكاسات هذه الفكرة أيضا في أذهان البريطانيين السياسيين والعسكريين الذين تولوا احتلال فلسطين (١٩٤٨-١٩١٧م) أمثال ملك بريطانيا جورج الخامس (١٩٣٦-١٨٦م) ، رئيس الوزراء لويد جورج (١٩٤٥-١٨٦٣م) ، وأول مندوب بريطاني في فلسطين هربرت صموئيل **(١٧)** وكذلك الأمر بالنسبة لقائد القوات البريطانية التي احتلت فلسطين الجنرال إدموند اللنبي (١٩٣٦-١٨٦١م) الذي فاجأ

الناس الذين احتشدوا في الساحة العامة في القدس ليستمعوا إلى كلمته عقب استلامه مدينة القدس والتي فضَل العثمانيون تسليمها للانجليز لتجنيبها ويلات الحرب والدمار الذي تحدثه المعارك، فاجأهم بقوله : " اليوم انتهت الحروب الصليبية "**(١٦) .**

و يروي الشيخ عبد المعز: حدثنا الإمام فقيد الاسلام السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العليا لفلسطين رحمه الله قال : كنت أرد زيارة للمندوب البريطاني حاكم فلسطين ، فقال لي : إن أمي علمت بوجودك وتود مقابلتك ، فقلت له :أهلا وسهلا . وجاءت العجوز، فكان أول ما قالته لي : أرجوك ألاَ تقف ضد إرادة الرب، فقلت لها :يا سيدة ... ومن يستطيع أن يقف ضدَ إرادة الرب ؟! قالت : أنت . فقلت لها:كيف ؟ قالت: لأنك لا تريد أن تعطي اليهود الأرض التي أعطاها الله لهم . قلت : إنها أرضي وبيتي وكيف يعطيها الله

لهم وأنا أين أذهب ؟ قالت :إنها إرادة الله ! ولما انتهت المقابلة قلت لابنها :إن والدتك طيبة متأثرة باليهود ،قال :لا، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا والأناجيل تبشر به (١٨) .

٢)التطورات الاقتصادية والاجتماعية على الصعيد الأوروبي :

شهدت أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر ما يسمى بالانقلاب التجاري ،إذ بدأ العمل التجاري الذي كان هامشيا ،بدأ يهيمن على الاقتصاد الزراعي والاقطاعي وأعاد صياغة الانتاج وتوجيهه بحيث خرج عن نطاق الاكتفاء الذاتي وسد الحاجة .

وبدأ التجار يلعبون دورا في توجيه سياسات الحكومات (١٩) ، وبدأت حدة التنافس بين الدول الاستعمارية تتصاعد يشجعها على ذلك وتيرة انهيار الدولة العثمانية والتهافت على تقاسم أراضي السلطنة العثمانية وممتلكاتها وهو ما عرف ب" المسألة الشرقية " أو" كيفية تقسيم تركة الرجل المريض "(٢٠) وما قيام نابليون بونابرت امبراطور فرنسا بحملته على مصر سنة ١٧٩٨م إلا دليل واضح على تربص دول أوروبا بالدولة العثمانية وتحيُنها الفرصة المناسبة لتضرب بجسد الدولة الاسلامية ، مندفعا بسيطرة روح التنافس التجاري والاستعماري في آن واحد ، إذ كانت بريطانيا قد احتلت رأس الجاء الصالح سنة ١٧٧٤م (٢١) مما يعني عمليا أنها باتت تهدد طريق التجارة الفرنسية ، فما كان من نابليون إلا أن قام بحملته لعدة اعتبارات أهمها :

أ- رغبته تهديد طريق التجارة البريطانية نحو الهند خاصة أن بريطانيا كانت تحتل مراكز متقدمة ومساحات شاسعة من الأراضي العثمانية .(٢٢)

ب - نابليون رجل عسكري وقائد فذ ، كان يريد أن يضمن عدم قيام امبراطورية إسلامية مرة ثانية ، مدركا أن قوة العالم العربي الإسلامي تكمن في جناحيه مصر وسوريا ، وإذا ما أراد القضاء على هذه القوة فعليه إضعافهما ....

استقر له الرأي على أن إضعاف هذين الجناحين وتأثيرهما في العالم الاسلامي إنما يكون بزرع جسم غريب في نقطة التقائهما عند مركز النقطة الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط . (٢٣) لكنَ الله خيَب آماله ولم يمكنه من

احتلال فلسطين ومنِي بهزيمة عسكرية في معارك عكا وأبي قير مما اضطره إلى الانسحاب من مصر سنة ١٨٠١م .

مات نابليون ، لكن رؤيته الاستراتيجية لم تمت بل تلقفتها بريطانيا التي من الواضح أن فرنسا قد فتحت لها شهيتها لاحتلال فلسطين .

بالأصل، كانت بريطانيا تدرك ما يمثله هذا الموقع الجغرافي من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية ، واهتمامها بفلسطين والمنطقة العربية لم يكن مرده تأمين الطريق التجاري للهند وحماية هذا الطريق عسكريا فقط بل هدفت بريطانيا للحؤول دون قيام قوة حقيقية منافسة في المنطقة .

وعقب تقدم جيوش محمد علي باشا في المشرق العربي ، أقدمت بريطانيا على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية في المنطقة تحت ستار حماية الأقليات الدينية ، وكان من جراء تلك السياسة أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس سنة ١٨٣٩م ووجهَت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين علما أنَ هذه الجالية كانت صغيرة جدا لا يتجاوز عددها ٩٧٠٠ يهوديا وهذا بحسب تقرير نائب القنصل البريطاني .

بريطانيا لم تكن تهدف في حقيقة الأمر إلى حماية الأقليات بل كانت دوافعها استعمارية ، بيَنها بوضوح رئيس وزراء بريطانيا الفايكونت بالمرستون في رسالة بعث بها إلى سفيره في استانبول، شرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فكانت صيغة الرسالة على النحو التالي : " إن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان العثماني وتحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي باشا أو من يخلفه ." **(٢٤)** وهذا ما دفع بريطانيا إلى الوقوف بجانب الدولة العثمانية في حربها ضد محمد علي باشا .

مجددا، تكرست فكرة الدولة الحاجزة وإضعاف العالم الاسلامي وإبقائه مفككا في توصية مؤتمر لندن الاستعماري الذي عقد سرا بين١٩٠٥-١٩٠٧ م بدعوة من حزب المحافظين البريطاني ،وقد اشترك فيه عدد كبير من علماء التاريخ ،الجغرافيا،الاجتماع،الاقتصاد،الزراعة،والبترول يمثلون الدول الاستعمارية : بريطانيا ، فرنسا ،بلجيكا، هولندا ، إسبانيا ، البرتغال وإيطاليا.

ناقش المجتمعون الوسائل التي يمكن بها الحيلولة دون انهيار الاستعمار الأوروبي وتحقيق المصالح الغربية والهيمنة على المنطقة الاسلامية. ثم رفع المؤتمرتوصياته إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك " كامبل لبرمان".

أكدت التوصيات على ضرورة إقامة حاجز بشري قوي وغريب بين شطري الأمة العربية التي تجمعها وحدة

التاريخ واللغة والآمال في منطقة شرق البحر المتوسط وعلى مقربة من قناة السويس ، هي قوة عدوة لشعوب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها.

ونصح التقرير أن يشكل هذا الحاجز أو الإسفين الغريب ، مصدر قلق دائم في المنطقة وسببا للتدخل في شؤونها .**(٢٥)**

أقر رئيس الوزراء البريطاني لبرمان ذلك التقرير وكذلك وزارة الخارجية التي أحالته بدورها إلى وزارة المستعمرات وأصبح ورقة عمل للأوروبيين وللدبلوماسيين منهم خاصة ، يعملون في ضوئها في منطقة الشرق العربي وفي إطار هذه المساومات التي تمَت إبان الحرب العالمية الأولى تم الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا وروسيا على تقسيم المنطقة ، ثم جاء وعد بلفور ١٩١٧م كترجمة فعلية لهذه الرؤية وذلك لما وفَره من حماية لليهود في فلسطين ولإسهامه في تأمين هجرتهم المكثَفة وتكريسه هذا الحق في صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم سنة١٩٢٢م .**(٢٦)**

٣) **انتشار ظاهرة القومية في أوروبا :**

ظهرت الحركات القومية في أوروبا وأصبح كل مجتمع أوروبي يؤكد على قوميته الخاصة ويبرز مزاياها واختلافها عن الآخرين ، فتوحَد الألمان تحت زعامة "بسمارك"، والإيطاليون تحت زعامة "كافور " .

ركَزت القوميات الألمانية والسلافية والروسية خصوصا على الروابط العضوية وكانت تفخربتميزها عن غيرها،وتعتبر الاختلافات مسألة جوهرية وبالتالي صنف اليهود في ألمانيا والمناطق السلافية في أوروبا الشرقية على أنهم "أغيار" غرباء ، مما منع من اندماجهم **(٢٧)** ، وبالتالي بدأ اليهود يفتشون عن مخرج لمشكلتهم ، فنشطت حركة الهجرة نحو أميركا وأروبا الغربية .

٤) **انعكاسات تعاليم الثورة والهسكلا في أوروبا على وضع اليهود في أوروبا :**

اندلعت الثورة الفرنسية سنة١٧٩٨ م التي لاقت صدى لها في أنحاء أوروبا وقد خدمت اليهود من عدة نواح ، فهي من ناحية غيَرت من نظرة تعامل أنظمة الحكم الأوروبي مع اليهود إذ كانوا يعاملون باستحقار أو كفئة من الدرجة الثانية يسكنون في أحياء خاصة بهم "الجيتو"، فتحسَن وضعهم وصار ينظر لهم كمواطنين كاملي الأهلية والحقوق مما سمح لهم باختراق هذه المجتمعات وتحسين مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تأثَر اليهود بحركة الاستنارة " الهسكلا " في أوساطهم وقد أسهمت هذه الحركة أيضا في إنهاء أنظمة الجيتو والانعزالية اليهودية وسمحت لهم بالاستفادة من الإمكانات الأوروبية المتاحة وزياد النفوذ اليهودي في المجتمعات الأوروبية .**(٢٨)**

٥) **ظهور مشكلة اللاسامية ونشوء المشكلة اليهودية :**

ارتبط ظهورهذه المشكلة بوضع اليهود في روسيا ، إذ أنَ يهود روسيا تحديدا لم يتفاعلوا مع حركة التنوير "الهسكلا" وقاوموا عملية الدَمج والتحديث الروسية التي تميَزت بالفوقية ، ومما زاد الوضع سوءا هو مشاركة اليهود بفاعلية في الحركات الثورية اليسارية التي قامت ضدَ الملكية القيصرية الروسية ، واتهم اليهود باغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني سنة ١٨٨١م فاتخذت بحقهم عدد من الإجراءات القاسية ووجه العداء لليهود لكونهم ينتمون إلى العرق السامي وقد صاحب هذه الإجراءات أحيانا أحداث دموية مثل مذابح كينيشف ومن أمثلة القوانين التي ظهرت تباعا : حق السكان الروس بطرد اليهود من قراهم ،تحريم حق اليهود من الإقامة في موسكو ، منع تشغيل اليهودي في المناطق الريفية حرمانهم من حق الانتخاب والترشح لمجالس البلدية ... فأصبحوا يفتشون عن فرصة للخلاص مما هم فيه ، كما تمكنوا من تحويل عواطف يهود أروبا الغربية وأمريكا نحوهم فتوجَهت أنظارهم نحو هاتين المنطقتين حيث بدأت أعداد هائلة تتوجَه إلى هناك مما ساهم في نشوء " المشكلة اليهودية "(٢٩) وبدأ التفكير في إيجاد حلول عملية للتخلص من "المشكلة اليهودية " بأقل التكاليف ، فتوجهت الأنظار نحو فلسطين لأهمية موقعها الجغرافي .

فلسطين مشروع استعماري بامتياز:

استهوت دعوة اليهود إلى فلسطين الشخصيات البرجوازية اليهودية المندمجة في وسط الاستعمار الأوروبي وذلك من أجل زيادة السيولة المالية بين أيديهم من أمثال أصحاب المصارف والبنوك مثل : موشي مونتفيري ، اللورد إدمون روتشيلد والبارون موريس هيرش وغيرهم ممن وجدوا في هذه الدعوة مشروعا استعماريا يهوديا مستقلا على غرار المشاريع الاستيطانية الأوروبية التي أقيمت في أستراليا، كندا، جنوب إفريقيا وأمريكا.

وقد عبَر والد الحركة الصهيونية " ثيودور هرتزل " في مراسلاته مع الخبير الاستعماري "سيسل رودوس- الذي سميت روديسيا على اسمه - عبَر عن ذلك بقوله : مشروعي هذا مشروع استعماري وهذا ما يجعلني أطلب رأيك فيه ".

بناء على هذه النظرية الاستعمارية ، شرعت البرجوازية اليهودية بإقامة مستعمرات زراعية في فلسطين لاستيعاب فلول المهاجرين اليهود من روسيا، بولندا ورومانيا بعد تمكن اليهود – بالحيل والخداع - من شراء آلاف الدونمات من أرض فلسطين.(٣٠)

لقد بات من الواضح ، أنَ الدافع الأساسي وراء صدور الوعود الغربية لليهود بإقامة وطن قومي لهم، ليس حب اليهود والتعاطف معهم ، وإنما هي الرغبة في التخلص من اليهود وترحيلهم وإذ لم تستطع المجتمعات الأوروبية استيعابهم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ...

وجاءت هذه الوعود استجابة لرغبات الدول الاستعمارية الكبرى مستغلة التعاطف الديني البروتستانتي فأقدمت هذه الدول وعلى رأسها بريطانيا في دعم فكرة إنشاء الكيان الصهيوني غير آبهة بانعكسات هكذا خطوة على أهل فلسطين خاصة والشعوب الاسلامية عامة .

من ناحية أخرى ، تمكَن اليهود من استغلال هذه الظروف التي أحاطت بهم ليحققوا ما يريدون وقد أدركوا منذ بداية مشروعهم أنهم لن يستطيعوا تحقيق أيَ شيء إلا إذا احتضنت دولة كبرى مشروعهم لذا توجَهت أنظارهم

نحو بريطانيا التي شكّل دورها ركيزة أساسية في إنشاء هذا الكيان الصهيوني الذي يعتبر الوليد الشرعي للعلاقة الوثيقة التي نشأت بين الحركة الصهيونية والامبراطورية البريطانية التي وعدت بما لا تملك لمن لا يستحق.

العلاقة بين اليهود والبريطانيين :

كانت بريطانيا مركزا للحركة الصهيونية العالمية وراعيتها منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الحرب العالمية الثانية وهي تعتبر عمليا وراء إنشاء المشروع الصهيوني .

إن النفوذ اليهودي الصهيوني قديم ومتجذر في بريطانيا وسياستها وقد وجد تعابيره الأولى في القرن التاسع عشر في سياسات وأنشطة وزير الخارجية بالمرستون (١٨٦٥-١٧٨٤)، وفي نفوذ عائلة روتشيلد اليهودية، ووصول اليهودي الأصل دزرائيلي إلى رئاسة الوزراء (٣١) .

الجدير بالذكر هنا، أن بالمرستون الذي انطلقت على يديه فكرة تشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين (١٨٤٠-١٨٤١) كان يثق تماما في اللورد شافتسبري (١٨٨٥-١٨٠١) الذي يُعدُ واحدا من أهم الشخصيات البريطانية في القرن التاسع عشر، وأحد أهم أربعة أبطال شعبيين في عصره .

كان زعيما لحزب الانجيليين الذين كانوا يحاولون تنصير اليهود، لذا نجد أن اليهود كانوا محط اهتمامه الشديد وموقف شافتسبري من اليهود هو موقف صهيوني نموذجي ، فهو يرى أن اليهود باعتبارهم شعبا مستقلا وجنسا عبريا فهم يتمتعون باستمرارية لم تنقطع .

لكن اليهود في التراث المسيحي هم " قتلة المسيح " ولذا نجد صورتهم سلبية أيضا في كتاباته فهم جنس من "الغرباء" ، متعجرفون، سود القلوب، منغمسون في الانحطاط الخلقي والعناد والجهل بالانجيل وليسوا سوى" خطأ جماعي " ،ينبغي عليهم العودة إلى المسيح حتى تبدأ سلسلة من الأحداث المؤدية إلى عودة المسيح الثانية وخلاص البشر .

انطلاقا من هذا الخليط الفريد في الأطروحات السياسية والدينية والعرقية ، عارض شافتسبري منح اليهود حقوقهم المدنية والسياسية لصالح توظيف هذا الشعب في خدمة الامبراطورية الانجليزية ، إذ يشكل اليهود مادة استيطانية جيدة ، مشهورين بحب المال والجشع والبخل وعندهم رؤوس أموال... وهناك ثمة علاقة بين هذا الشعب وبقعة جغرافية محددة في فلسطين حيث سيتم بعثهم ... وجودهم هناك يمثل عنصرا حيويا في الرؤية المسيحية للخلاص ، وهوصاحب قول :" إنَ أيَ شعب لابد أن يكون له وطن والأرض القديمة للشعب القديم "وقد طوَر هذا القول لاحقا ليصبح " وطن بلا شعب لشعب بلا وطن ".

ويصل شافتسبري إلى نتيجة منطقية مفادها أنَ "عودتهم لاستعمار فلسطين أرخص الطرق وأكثرها أمنا للوفاء بحاجات هذه المنطقة غير المأهولة بالسكان وهم سيعودون على نفقاتهم الخاصة دون أن يعرضوا سوى أنفسهم للخطر "، وسيعود هذا بالفائدة لا على إنجلترا بمفردها وإنما على العالم المتمدن أي (الغربي) بأسره .

من المعروف أنَ افتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس تمَ افتتاحها بناء لإلحاحه وبناء على توجيه شخصي منه كما ترأس صندوق استكشاف فلسطين الذي قام أعضاؤه بكتابة دراسات مكّثفة عن آثار فلسطين من منظور إنجيلي .

على الرغم أنَ شافتسبري كان يستخدم صياغات تبشيرية واضحة فإنه كان مدركا لضرورة تأكيد الأبعاد الجغرافية والساسية النفعية لمشروعه وذلك حتى يلقى قبولا لدى صانع القرار الغربي .

وبالرغم من أن شافتسبري قد طرح أفكاره هذه قبل ميلاد هرتزل بعشرين سنة إلا أن كل ملامح المشروع الصهيوني موجودة فيها **(٣٢).**

إلى جانب دور اللورد شافتسبري في صياغة المشروع الصهيوني في ملامحه الأولية ، برز نجم صديقه السير لورانس أليفانت الذي كان يعمل في السلك الديبلوماسي البريطاني في الشؤون الهندية وكان يرى شأنه شأن معظم الصهاينة أن اليهود جنس مستقل يتَسم أعضاؤه بالذكاء في الأعمال التجارية والمقدرة على جمع المال ، لكن وجودهم داخل الحضارة الغربية أمر سلبي إذ أن جذورهم في فلسطين ... لذا دعا بريطانيا إلى تأييد مشروع توطين اليهود فيها .

اتَجه إلى فلسطين للبحث عن موقع مناسب للمستوطن المقترح واختار منطقة شرق الأردن في شمال البحر الميت تسمى منطقة جلعاد في التوراة ،ثم اتَجه إلى استانبول مع إدوارد كازلت الممول البريطاني لعرض مشروع سكة حديد وادي الفرات وقدَما طلبه إلى السلطان العثماني الذي يطلب فيه إعطاء اليهود قطعة من الأرض بعرض ٣ كلم على حافتي الطريق المفتوحة ،كما عارض الجهود التي كانت تبذلها جماعة "الأليانس" لتهجير اليهود إلى الولايات المتحدة الأميركية لإنقاذهم وقام بجمع توقيعات من اليهود على عريضة يؤكدون فيها رغبتهم بالهجرة إلى فلسطين لا إلى غيرها من البلدان .

وفي عام ١٨٨٠م نشركتابه "أرض جلعاد " الذي نادى فيه بضرورة توطين اليهود في فلسطين وقد ترجِم الكتاب عام ١٨٨٦م إلى العبرية ووُزِع منه ١٢٠٠٠نسخة وهو رقم قياسي بالنسبة للمنشورات العبرية آنذاك .

عاد أليفانت إلى فلسطين لمساعدة المستوطنين الصهاينة ، وكتب مجموعة من المقالات عن المستوطنات الصهيونية ووضع كتابا آخر بعنوان "حيفا أو الحياة في فلسطين الحديثة " ومات في هذه المدينة عام ١٨٨٨م **(٣٣).**

بات يمكننا القول أن بريطانيا وجدت في الحركة الصهيونية الجسر لتدعيم نفوذها في المنطقة في حين وجدت الحركة الصهيونية في بريطانيا الوسيلة للوصول إلى تحقيق تطلعاتها وغاياتها في فلسطين ، وتمكَنت الجهتان من تجاوز أي خلافات بينهما ... فمصالحهما وأطماعهما قد تلاقت على أرض فلسطين وفي سبيل ذلك عملا معا ونسَقا بشكل كامل منذ منتصف القرن ١٩ تقريبا ...

ساعد الدَور المتعدد الوجوه الذي لعبته الحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية الأولى من زيادة التَأييد البريطاني للتطلعات الصهيونية في فلسطين . فباندلاع الحرب ، بدأت مرحلة جديدة ومتقدمة لتلاقي الأطماع ، وذلك عندما نشب تنافسٌ حادٌ بين الدول المتحالفة حول تقاسم السيطرة على المشرق العربي والإسلامي، فاستفادت الحركة الصهيونية من هذا التنافس وبدأت تتقرب من جديد من بريطانيا للتحالف معها والانضواء تحت لواء أشد الدول الاستعمارية طمعا في فلسطين .

فكان وعد بلفور أهم ثمرة من ثمرات هذا التلاقي ويُمكن اعتباره تتويجا للمشروع البريطاني الذي طرحه بالمرستون سنة ١٨٤٠م والذي بُلور بشكل عملي في مؤتمر كامبل بانرمان سنة ١٩٠٧م وتحقيقا لأمنية هرتزل

التي طرحها في كتابه "الدولة اليهودية " وفي المؤتمر الصهيوني الأول سنة١٨٩٦م الذي تكمن أهميته في النجاح الذي حققَه على صعيد تحويل المسألة اليهودية إلى قضية قومية سياسية . **(٣٤)**

لم يكن الزمن بين إعلان ولادة الحركة الصهيونية ١٨٩٦م، وإعلان وعد بلفور ١٩١٧م، ثم إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، زمنا راكدا ... بل كان زمنا حافلا بشتى الظروف الاستثنائية التي عرف اليهود كيفية استغلالها لتنفيذ مشروعهم .

لم يكن هدف بريطانيا والحركة الصهيونية إقامة دولة يهودية دفعة واحدة بل كانت الخطة المشتركة تقضي بإقامة الدولة بالتدريج وعلى مراحل ، وهذا ما عبَر عنه وايزمان في ١٩١٧\٤\١٧م خلال محاضرة قائلا :" إن الكثير من أصدقائنا ينتظرون أن تقام الدولة اليهودية في الحال ولكن الواقفين على سير الأمور يعلمون أن ذلك متعذر... إن هدفنا لا يزال الدولة اليهودية ولكن بلوغ هذا الهدف يجب أن يأتي على مراحل أولها أن توضع فلسطين تحت حماية دولية صديقة كبريطانيا لتسهيل الهجرة والاستيطان ، وتمكِننا من تحضير الجهاز الإداري اللازم لبلوغ هدفنا ، وأستطيع أن أصرِح أن بريطانيا موافقة على ذلك "**(٣٥)** .

لم يكن وايزمان ليصرح بهذا التصريح الخطير لولا أنه كان واثقا تماما فيما يقول وذلك بعد أن كان قد تمكَن بعد مفاوضات عدة من استصدار وعد رسمي من ملك بريطانيا " لويد جورج " يقضي بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود، مقابل حق انتفاع الجيش البريطاني بالجليسيرين المبتكر لصناعة المتفجرات التي استخدمها البريطانيون ضد الألمان . **(٣٦)**

نستطيع أن نقسم الدور الذي لعبته بريطانيا في إنشاء دولة إسرائيل إلى٣ مراحل: قبل الانتداب ، أثناءه وبعده.

<u>في المرحلة الأولى</u>، أي ما قبل الانتداب ، ساعدت بريطانيا اليهود في رسم ملامح مشروعهم الصهيوني والانتقال بهذه الرؤية من حيز الآمال والتمنيات إلى حيز الحقيقة مندفعة بمنطق تأمين مصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية ، وذلك من خلال :

أ- مشروع اللورد شافتسبري سنة ١٨٤٠م وهو المشروع الذي طالب فيه بريطانيا بتبني إعادة اليهود إلى فلسطين وتوطينهم هناك . **(٣٧)**

ب- محاولة اللورد مونتيفيري استئجار بعض الأراضي في شمال فلسطين من محمد علي باشا الذي كان مسيطرا على سوريا ومصر (١٨٤٠-١٨٠٥م) لإقامة مستوطنات عليهاومشاريع إقتصادية ، ثم محاولاته مع السلطان عبد الحميد الثاني لإقامة حيٍ سكني خاص باليهود في القدس . **(٣٨)**

ج– شراء بريطانيا نصيب مصرمن أسهم قناة السويس سنة ١٨٧٥م بمعونة مالية مقدمة من آل روتشيلد.**(٣٩)**

د - قيام البارون روتشيلد سنة ١٨٨٣م بإنشاء منظمة "البيكا " لتتولَى عملية تمويل الهجرة والاستيطان اليهودي فكان إنشاء أول مستوطنة يهودية "تباح تكفا" سنة ١٨٧٧م . **(٤٠)**

صهيونيا، إتَسمت هذه المرحلة بمحاولات حثيثة قام بها رواد الحركة الصهيونية وعلى رأسهم ثيودورهرتزل منذ ١٨٩٦م للقاء السلطان عبدالحميد الثاني لاستصدار قرار رسمي من أجل إزالة العقبات التي تحول دون إقامة اليهود في فلسطين .

وتمَ اللقاء اليتيم بعد ٥ سنوات عام١٩٠١م ورفِض الاقتراح الصهيوني رفضا قاطعا وذلك بالرغم من الإغراءات المادية التي عرضها الوفد الصهيوني على السلطان وقد كتب هرتزل عن جواب السلطان العثماني : " إنصحوا الدكتورهرتزل بألاَ يتَخذ خطوات جدية في هذا الموضوع . إني لا أستطيع أن أتخلَى عن شبر واحد من الأرض وفهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ...إنني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ."

وعلى العكس ، أصدر السلطان بعد هذا اللقاء أمرا يحظر فيه على اليهود شراء الأراضي في فلسطين وذلك بعد أن كان قد منعهم من الإقامة في القدس سنة ١٨٨٠م (٤١) .

لكن مع نهاية الدولة الدولة العثمانية سنة١٩١٨ م ، كان اليهود قد حصلوا على ٤٢٠ ألف دونم من أرض فلسطين اشتروها من ملاك إقطاعيين لبنانيين أو من الإدارة العثمانية عن طريق المزاد العلني الذي تباع فيه أراضي الفلاحين الفلسطينيين العاجزين عن دفع الضرائب المترتبة عليهم أو من بعض الملاّكين الفلسطينيين ومعظمهم من النصارى .

وعلى أي حال ، فإن الخطر الصهيوني لم يكن يمثل خطرا جديا على أبناء فلسطين في ذلك الوقت لضآلة الحجم الاستيطاني وللاستحالة العملية لإنشاء كيان صهيوني في ظل دولة مسلمة (٤٢) .

ما ينبغي ذكره هنا ، أن بريطانيا العظمى كانت قد عقدت ٣ اتفاقيات لعبت دورا خطيرا لصالح تأمين مصالح الدول الأوروبية وحلفائهم اليهود في المنطقة ، وذلك قبل انتهاءالحرب العالمية الأولى : الأولى كانت بريطانية - عربية ، الثانية بريطانية - أوروبية، والثالثة بريطانية - صهيونية .

الاتفاقية الأولى : جاءت نتيجة مراسلات جرت بين الشريف حسين ومكماهون ١٩١٤م وقد وعد البريطانيون فيها بمساعدة العرب على نيل الاستقلال عن الدولة العثمانية بشرط دخولهم الحرب إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية التي تحالفت مع الألمان(٤٣).

أما الاتفاقية الثانية :فهي كانت اتفاقية سرية عقدتها بريطانيا مع فرنسا سنة ١٩١٦م وهي ما عرِفت باتفاقية سايكس- بيكو. بموجب هذه الاتفاقية تم تقسيم الهلال الخصيب (العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن) إلى مناطق سيطرة فرنسية وأخرى بريطانية حسب التقسيم التالي :

أ- منطقة السيطرة الفرنسية وتشمل فرنسا وسوريا .

ب- منطقة السيطرة البريطانية وتشمل العراق والأردن .

ج – أما فلسطين فقد تم الاتفاق على أن تبقى منطقة سيطرة دولية .

واستُثنت مصر من الاتفاقية لأنها كانت خاضعة للسيطرة البريطانية منذ١٨٨٢م

(٤٤).

علما أَن ما جاء في هذه الاتفاقية ، يتناقض تماما مع ما جاء في نص مراسلات حسين– مكماهون، كما يدل أن بريطانيا لم تكن صادقة في رغبتها في مساعدة العرب على نيل الاستقلال ، لكنَها في الحقيقة عرفت كيف تستغل رغبتهم الشديدة في الانفصال عن الدولة العثمانية يشجعهم على ذلك حمَى القومية التي انتشرت في ذلك الزمان.

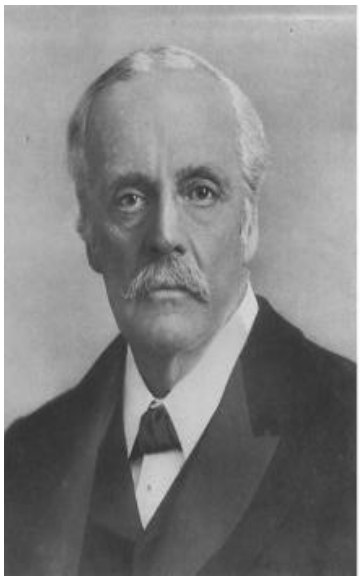

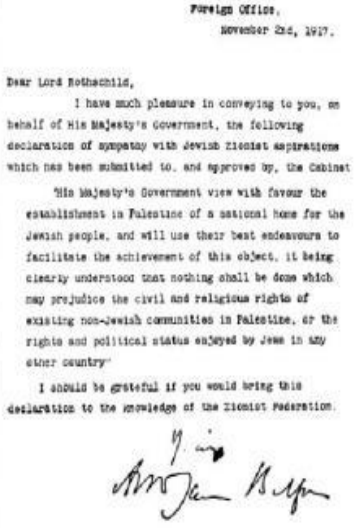

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

أما الاتفاقية الثالثة والتي ترجمت متانة العلاقة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا والتي اعتبِرت أحد أخطر المفاصل في تاريخ القضية الفلسطينية كانت عبارة عن رسالة صدرت في ١٩١٧\١١\٢م تضمَنت وعدا إلتزمت به بريطانيا تجاه اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وقد توجَه بها وزير الخارجية البريطانية بلفور إلى زعيم الطائفة اليهودية في بريطانيا المليونير اليهودي المعروف اللورد روتشيلد **(٤٥) .**

عمليا ،أعلن هذا الوعد عن فتح صفحة جديدة في تاريخ المشرق العربي والاسلامي وأحدث تغييرا في خريطة العالم وكان له أخطر النتائج على مستقبل المنطقة ،وأسَس لمرحلة إنشاء الوطن القومي لليهود .

ونظرا لأهميته ،سعت الحركة الصهيونية لأن تكون بريطانيا هي الدولة التي تحتل فلسطين تحت غطاء الانتداب **(٤٦)**. في الوقت نفسه ، أخذت بريطانيا تضغط على فرنسا مستعينة باليهود لتضطرها إلى التسليم للبريطانيين بالسيطرة على فرنسا بدلا من الإدارة الدولية وإدخالها تحت انتدابها (٤٧) .

أما في المرحلة الثانية فهي الفترة ما بين ١٩١٨-١٩٤٨م وهي المرحلة التي انكبَت فيها الحركة الصهيونية على تكريس الأمر الواقع بمؤازرة بريطانيا .

كانت الخطوة الأولى في هذا الطريق الطويل ، هي نقْل تصريح بلفور من نطاقه البريطاني إلى النطاق الدولي وذلك من خلال عرض القضية على مؤتمر الصلح الدولي سنة١٩١٩ م في باريس .

وقد استجاب المجلس الأعلى للحلفاء لمطالب الوفد الصهيوني في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠م والذي قرر فيه وضع فلسطين تحت سلطة الانتداب البريطاني التي سارعت إلى إنهاء الإدارة العسكرية واستبدالها بإدارة مدنية ، لذا قامت بتعيين اليهودي البريطاني هربرت صموئيل مندوبا ساميا لها في فلسطين .

صادق مجلس عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٢م مستندا إلى وعد بلفور. وبذلك أصبح وعد بلفور أمرا رسميا دوليا موثَقا وهذا ما كانت ترنو إليه الحركة الصهيونية بالضبط وأصبح معارضة هذا الأمر هو معارضة للإجماع والشرعية الدولية وليس معارضة لبريطانيا .

على مدى ثلاثين عاما ، وفَرت بريطانيا للحركة الصهيونية كل ما يلزمها من المقومات الأساسية لقيام الدولة : الأرض، الشعب، والسيادة .

فبموجب المادة الثانية من صك الانتداب ، يتوجَب على بريطانيا أن تضع فلسطين في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي **(٤٨)**.

كانت بريطانيا تسابق الزمن لرؤية هذا الكيان موضوعا على الخريطة الدولية ، لذا كانت خطواتها عملية جدا وسريعة ، فكان أول إجراء معلن في الجريمة البريطانية هو استقبال اللجنة الصهيونية القادمة من أوروبا بقيادة وايزمان وقدَمت لها كل دعم وحماية لتنشِئ مزارع وتقيم مستعمرات حصينة للمهاجرين اليهود **(٤٩)** .

وفي الوقت نفسه بدأ اليهود المتسربون من قبل إلى فلسطين في إظهار هويتهم الاستعمارية ، لذلك أنشأت بريطانيا إدارة للمساحة هدفها تحديد ملكية كل أرض لمعرفة كيفية الاستيلاءعليها ومن ثم تدفَقت أموال اليهود لشراء الأراضي بأسعار خيالية **(٥٠)** وقد سارهذا الهدف في عدة اتجاهات :

١- أ) قامت السلطات البريطانية بمنح اليهود ٣٠٠ألف دونم من الأراضي الأميرية دون مقابل، كما منحتهم ٢٠٠ألف دونم أخرى مقابل أجر رمزي .وقد تكررت هبات المندوب السامي صموئيل لليهود ١٧٥ ألف دونم من أخصب اراضي الدولة على الساحل بين حيفا وقيسارية إضافة إلى أراض في النقب وعلى ساحل البحر الميت **(٥١)** .

١- ب) اضطرت الدولة العثمانية سنة ١٨٩٦م لبيع أراض أميرية بلغت مساحتها ٦٢٥ ألف دونم لعائلات لبنانية وسورية غنية لتوفير الأموال للخزينة. هذه العائلات بدورها قامت ببيع هذه الأراضي للصهاينة وبلغت نسبة الأراضي الزراعية التي باعها الملاّك الإقطاعيون الغائبون خارج فلسطين بين ١٩٢٠و١٩٣٦م ما نسبته ٥٥,٥% مما حصل عليه اليهود من أراض زراعية.

ورغم ما تتحمله هذه العائلات العائلات من مسؤولية تاريخية أمام الله والوطن والناس ، فإن اللوم لا يقع عليهم وحدهم ، فقد سنَت السلطات البريطانية قانونا يمنعهم من الدخول إلى فلسطين لاستثمار الأراضي ومتابعة شؤونها بحجة أنهم أجانب وذلك بعد فصل فلسطين عن سوريا ولبنان وفق اتفاقية سايكس- بيكو بين الاستعمارين بريطانيا وفرنسا **(٥٢)**.

١- ج) استخدم البريطانيون حق نزع الملكية العربية لصالح اليهود وذلك وِفق مواد من صك الانتداب التي تخوِل المندوب السامي هذا الحق (٥٣).

١- د) ضيَقت بريطانيا الخناق على الفلاحين الفلسطينيين المتمسِكين بأرضهم بفرض الضرائب الباهظة عليهم عليهم مما اضَطرَهم إلى استقراض المال من المرابي اليهودي مقابل رهن الأرض التي لا تلبث أن تقع في حوزة اليهودي بسبب عدم القدرة على السداد (٥٤).

١- ه) هناك فئات قليلة من الفلسطينيين ضعفت أما الإغراءات المادِيَة لكِنَها كانت فئة قليلة منبوذة ومحاربة وتعرَض الكثير منهم للمحاربة والتصفية والاغتيال خاصة أثناء اندلاع العربية بين ١٩٣٦-١٩٣٩م.(٥٥)

بالرغم من التعاون البريطاني الصهيوني في هذا المجال وبالرغم من كل الإمكانيات الهائلة التي كانت تقوم بها الجهتان، إلا أن هذه الجهود لم تنجح إلا في الاستيلاء على ٦% من مجموع أرض فلسطين(٥٦)، مما يدل على مدى المعاناة التي لقِيها اليهود في سبيل تثبيت مشروعهم أمام إصرار الفلسطينيين على التمسك بأرضهم التي خسروها حقيقة بسبب هزيمة الجيوش العربية سنة١٩٤٨م والتي على إثرها أنشِئ الكيان الصهيوني على ٧٧% من أرض فلسطين (٥٧).

٢) <u>على الصعيد السكاني:</u>

أدرك الساسة الانجليز وقادة الحركة الصهيونية منذ البداية أن زعزعة البنية الديمغرافية للسكان في فلسطين هي قضية جوهرية في الصراع الذي يخوضونه (٥٨)، فقامت سياستهم على مبدأ تفريغ الأرض من سكانها الأصليين واستبدالهم باليهود البالغة نسبتهم في فلسطين ٨,٢٧% من مجموع السكان، يقابلهم ٩١,٧٣% من العرب سنة ١٩١٨م (٥٩) .

لذا بذلت الوكالة اليهودية جهودا حثيثة لتشجيع الهجرة إلى فلسطين ووفَرت للمهاجرين بمؤازرة سلطة الانتداب كلَ ما يساعدهم على العيش والاستمرار... ففتح المندوب السامي صموئيل باب الهجرة اليهودية على مصراعيه، وأصدر في الأول من أيلول بإنشاء دائرة الهجرة وتولى رئاستها اليهودي الصهيوني ألبرت هيامسون بين ١٩٢٠و١٩٣٤م (٦٠) .

الموجة	الفترة	عدد المهاجرين	جهة القدوم
الموجة الأولى	١٨٨٠م-١٩٠٣م	٢٥٠٠٠	من روسيا وبولندا ورومانيا
الموجة الثانية	١٩٠٤م-١٩١٤م	٣٤٠٠٠	من روسيا وشرق أوروبا
الموجة الثالثة	١٩١٩م — ١٩٢٣م	٣٥١٠٠	من مناطق بحر البلطيق وروسيا وبولندا
الموجة الرابعة	١٩٢٤م-١٩٣١م	٧٨٨٩٨	بولندا رومانيا الشرق الأوسط
الموجة الخامسة	١٩٣٢م — ١٩٣٩م	٢٢٤٧٨٤	ألمانيا أوروبا الغربية بولندا
الموجة السادسة	١٩٤٠م — ١٩٤٨م	١١٨٣٠٠	وسط أوروبا البلقان بولندا الشرق الأوسط

سجَلت لجنة الانتداب الدائمة الدائمة في محضر جلستها الخامسة بجنيف سنة١٩٢٤م ذلك التحيز البريطاني للهجرة اليهودية وتسهيله لها ، إضافة إلى المركز الممتاز الذي يتمتع به المهاجرون اليهود (٦١) وقد بلغ عدد ١٦٤٢٦٧نسمة" وهذا اليهود المهاجرين بالطرق التي وافقت عليها حكومة الانتداب ما بين ١٩٣٣-١٩٣٥م " بحسب الإحصاءات الرسمية (٦٢) .

السنة	مجموع السكان	السكان العرب		السكان اليهود	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩١٤م	٦٨٩,٧٧٥	٦٣٤,٦٣٣	٩٢ %	٥٥,١٤٢	٨ %
١٩١٨م	٦٩٤,٠٠٠	٦٤٤,٠٠٠	٩٢,٨%	٥٠,٠٠٠	٧,٢ %
١٩٢٢م	١٥٧,١٨٢	٦٧٣,٣٨٨	٨٨,٩ %	٨٣,٧٩٤	١١,١ %
١٩٣١م	١,٠٣٥,٨٢٠	٨٦١,٢١١	٨٣,١٤ %	١٧٨,٦١٠	١٦,٨٦ %
١٩٤٤م	١,٧٣٩,٦٢٤	١,٢١٠,٩٢٢	٦٩,٦ %	٥٢٨,٧٠٢	٣٠,٤ %
١٩٤٧م	١,٩٧٧,٦٢٦	١,٣٦٣,٣٨٧	٦٩ %	٦١٤,٢٣٩	٣١ %
١٩٤٨م	٢,٠٦٥,٠٠٠	١,٤١٥,٠٠٠	٦٨,٥ %	٦٥٠,٠٠٠	٣١,٥%

أما على الصعيد الغير رسمي ، فلقد اعترف المندوب السامي سنة١٩٣٤م أن اليهود الذين دخلوا إلى فلسطين بطرق التهريب ، كانوا أكثر ممن دخلوها بجوازات ، وقد غضَت سلطة الانتداب الطَرْف عن الوسائل التي اتخذتها الحركة الصهيونية لزيادة عدد اليهود كالاحتيال على قانون الهجرة ، الزواج الصوري، السائحين المحتالين ،المهرَبين ، دورات الألعاب الرياضية والمعارض اليهودية التي أقيمت في فلسطين ....

كل هذه الإجراءات كانت تنفَذ بموجب صك الانتداب الذي أدمِج فيه وعد بلفور ... ويبقى أن نعرف أن هذه المخططات أدت إلى جذب ٦٥٠ ألف يهودي حتى ١٩٤٨\٥\١٥م بعد أن كان عددهم لا يتجاوز ٥٥ ألفا سنة ١٩١٨ م **(٦٣)** .

٣) القوة العسكرية : استفاد اليهود من خبرات الحرب العامية الأولى والثانية في بناء قوة عسكرية لا يستهان بها ، وكمثال على ذلك كان قد خدم رئيس دولة الصهاينة وايزمان ومثله حاييم هرتزع في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية .

قام الانجليز خلال فترة الانتداب بتسهيل تهريب الأسلحة لليهود وبناء مصانع سرية لهم وكذلك قاموا بتدريب أعداد كبيرة من اليهود المهاجرين عسكريا في مراكز تدريب أقيمت خصيصا لهذا الغرض في أوروبا أولا ثم في فلسطين .

وصل عدد اليهود القادرين على القتال عشية إنهاء الانتداب إلى أكثر من سبعين الف مقاتل مقابل عشرين ألفا من الجيوش العربية إضافة إلى المقاتلين الفلسطينيين والمجاهدين العرب خاصة مجاهدي الإخوان المسلمين ، كما تم تزويدهم بالأسلحة من تشيكوسلوفاكيا بإيعاز من الاتحاد السوفياتي **(٦٤)** ، منها ٤٠ طائرة مقاتلة ، كما باعهم الانجليز أنفسهم ٢٤ طائرة وألف سيارة نقل كبيرة **(٦٥)** .

كانت المنظمة الصهيونية العالمية على معرفة بصعوبة المهَمة الموكلة إليها ، باعتبارها ستستدعي إزالة المواطنين الأصليين أي الفلسطينيين أصحاب الأرض واحتلالها ، لذا لم تجد حرجا في ارتكاب أي عمل لتحقيق هدفها خاصة أن تمجيد الثورة وسحق غير اليهود هو جزء أساسي من الفكر الصهيوني الذي يستند إلى جذور عقائدية **(٦٦)**، لذا لم يتورَع كبارزعماء الصهاينة وعدد كبيرمن قادة الحركة الصهيونية على ارتكاب أبشع المجازر بحق الشعب الفلسطيني ، ولطالما كان مناحين بيغن رئيس الوزراء الصهيوني بين سنة ١٩٧٧-١٩٨٢م يفاخر باشتراكه في مجزرة دير ياسين وقد كتب في مذكراته : " كان لهذه العملية نتائج كبيرة ...غير متوقعة ، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي وأخذوا يفرون مذعورين ... فمن أصل ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون على أرض فلسطين سنة١٩٤٨م لم يبق سوى ١٦٥ ألفا ".

ويعيب على من يتبرَأ منها من زعماء اليهود ،ويتهمهم بالرياء قائلا : " إن مذبحة دير ياسين سببت انتصارات حاسمة في ميدان المعركة " فيما قال إرهابيون صهاينة: " إنه بدون دير ياسين ، ما كان ممكنا لاسرائيل أن تظهر إلى الوجود " (٦٧) .

وقد أحصى المؤرخ اليهودي "بن موريوس" ٤١٨ قرية فلسطينية تم محوها عن الخريطة من بين ٤٧٥ قرية **(٦٨) .**

وهنا لابد من الإشارة إلى أن جميع رؤساء الحكومات الصهيونية حتى الأمس القريب هم إما رؤساء أو أعضاء في عصابات صهيونية شاركت في مجازر صهيونية بحق الشعب الفلسطيني فبيغن كان القائد الأعلى لعصابة الأرغون ، ومثله إسحاق شامير الذي شارك في مجزرة دير ياسين وتفجير فندق الملك داوود، وكان قائدا لعصابة شتيرن ، وإسحاق رابين الذي اشترك في مجزرة اللد والرملة في١٩٤٨\٧\١١م وأرييل شارون الذي التحق بعصابة الهاغاناة منذ أن كان في الرابع عشر من عمره **(٦٩)** .

الهاغانا تفتش عربا

معظم هذه العصابات تدرَبت على أيدي العسكريين اليهود الذين خدموا في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى وذلك تحت اسم "حراس المستعمرات" فعصابة الهاغاناة وهي تعني " الدفاع "،

ضمَت تشكيلات من المشاة وعناصر الاستخبارات، وفي أوائل الأربعينات تحوَل قسم من وحداتها إلى

وحدات هجومية تحت اسم "البالماخ"وأسنِدت لها مساعدة القوات البريطانية ضد القوات الألمانية

المحتمل تقدمها من مصر باتجاه فلسطين . وقد وصل عدد عناصر الهاغاناة عشية ١٩٤٨\٥\١٥م إلى ٢٩٦٧٧عنصرا مدربا وِفقا لمذكرات بن غوريون (٧٠).

لم تكن عصابة الهاغاناة العصابة الوحيدة التي أسِست بعلم سلطات الانتداب، فبالإضافة إليها ، شهدت هذه الفترة تأسيس عدد كبير من العصابات الصهيونية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك عصابة " أرغون تسفائي ليؤمي" التي أسسها فلاديمير جابونسكي الملقَب ب" أبو الإرهاب الصهيوني " والتي انبثق عنها فيما بعد عصابة "شتيرن" التي سوَغت لنفسها استخدام العنف ضد سلطات الانتداب البريطاني للضغط عليها لتسريع عملية تسليم فلسطين إلى الوكالة اليهودية (٧١) ، وهناك منظمة "الايتسل "الارهابية التي لطالما تفاخرت بمجزرة حيفا التي راح ضحيتها عشرات الفلسطينيين وإصابة العشرات أيضا سنة ١٩٣٧م (٧٢) .

لعلَه من الأهمية بمكان أن نذكر أن عدد المجازر الوحشية التي ارتكبها الصهاينة خلال الانتداب البريطاني ما بين ١٩٣٧-١٩٤٨م قد تجاوز٧٥ مجزرة ذهب ضحيتها خمسة آلاف شهيد فلسطيني وآلاف الجرحى ،كما وثَق سلمان أبو ستة أكثر من ٢٠٠ جريمة حرب و٣٤ مجزرة ارتكبت ضد مدنيين أو أسرى خلال سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨م منها ١٧ مجزرة ارتكبت خلال الانتداب البريطاني و١٧ مجزرة بعد الجلاء البريطاني عن فلسطين (٧٣) .

مع ذلك لم تحرك القوات البريطانية ساكنا لحماية أهالي القرى الفلسطينية حسب ميثاق الانتداب (٧٤) وهذا ما يجعلنا نعتقد أنه لولا التواطئ البريطاني لما أقدم الصهاينة على ما أقدموا عليه...

فلولاهم لما تمكَن اليهود من إقامة دولتهم في ١٩٤٨\٥\١٤م ، وذلك من خلال : تأمين الهجرة اليهودية من أوروبا وروسيا والدول العربية ، وتأمين الأرض بعد اقتطاعها بشتى الوسائل من الفلسطينيين التي لم تزد على ٥,٥% من مساحة فلسطين عشية النكبة ، ثم تدريب وإعداد العصابات الصهيونية ، وأخيرا اضطهاد الفلسطينيين وإخماد ثوراتهم بالقوة خاصة ثورة ١٩٣٦م واعتقالهم وإعدامهم وتأليب بعضهم على البعض ومنع وحدتهم والتآمر على قضيتهم وحقوقهم ومطاردة القيادات السياسية الفلسطينية الممثلة بالحاج أمين الحسيني (٧٥) ...

وقد كانت أولى بوادر مقاومة المشروع الصهيوني بدأت بإنشاء جمعية " الفدائية " أوائل ١٩١٩م التي انتشرت في عددٍ من المدن الفلسطينية ونشطت في تجنيد الأعضاء وسط الجندرمة والشرطة الفلسطينية .

رغم أنه قد تم القبض على كثير من عناصرها إلا أن أفرادها شكّلوا عناصر تحرض مهمة في انتفاضة "موسم النبي موسى" في القدس في أبريل سنة ١٩٢٠م والتي تعد أولى الانتفاضات الشعبية ، وقد كان للحاج أمين الحسيني دور بارِز فيها وحكِم عليه بالسجن غيابيا مدة ١٠ سنوات بعد أن استطاع الهروب مع رفيقه عارف العارف ،لكنَ المندوب السامي عاد وعفا عنه في محاولة لتهدئة الأوضاع .

إلا أن هذه الانتفاضة لم تكن سوى البداية لعدد من التحركات التي عبَرت عن الغليان والغضب في الشعبي الفلسطيني، ومنها: (٧٦)

أ) انتفاضة يافا١٩٢١م :

أكدت هذه الانتفاضة للعرب أن الإدارة البريطانية والحركة الصهيونية وجهان لعملة واحدة، ظهر ذلك من خلال الأداء المتحيز للسلطات البريطانية ، حيث أحال النائب العام البريطاني "نورمان نبتويش" الفظائع التي ارتكبها الصهاينة إلى المحاكم كقضايا شخصية بسيطة (٧٧) .

ب) ثورة البراق أغسطس١٩٢٩م :

شملت فلسطين كلها ، استهدفت في الأساس اليهود فقط ، لكن بعد التعامل البريطاني إزاءها ، قطِع الشك باليقين، ووجَه أنظار الفلسطينيين إلى ضرورة توجيه دفة الصراع ضد بريطانيا نفسها التي تحمي المشروع الصهيوني .

إثر اندلاع هذه الانتفاضة، سيق١٣٠٠ شخصا إلى المحاكمة، ٩٠% منهم كانوا عربا، حمِلوا أوزار الاستفزازات اليهودية وأفرج النائب العام "نبتويش" عن اليهود حتى القتلة منهم بكفالة ودون كفالة في حين نفذت السلطات البريطانية ٣ أحكام بالإعدام على ثلاثة من العرب وكان استشهادهم في ١٩٣٠\١١\١٧ م يوما مشهودا عرِف بالثلاثاء الحمراء .

تمَيَزت هذه الثورة عن سابقتيها باتخاذها بعدا إسلاميا واضحا من خلال سعي المسلمين للدفاع عن حرمة المسجد الأقصى وحقهم في حائط البراق.(٧٨)

ج) ثورة الكف الأخضر١٩٢٩-١٩٣٠م :

بدأت مجموعة الكف الأخضر بمجموعة من الثوار المشاركين في ثورة البراق والذين هربوا من قبضة السلطات الأمنية وقد قامت بهجمات ضد اليهود ورجال الشرطة.

تركَز نشاطها شمال فلسطين قضاءي عكا وصفد، قامت السلطات البريطانية بعمليات مسحٍ شاملة وتسيير الدوريات الراجلة وتفتيش القرى، كما ساعد الطيران الجوي في عمليات الجوي وتعاونت السلطات الفرنسية وقوات حدود شرق الأردن في عمليات الملاحقات.

لم تستطع هذه المجموعة الثورية الاستمرار بسبب ما تعرَضت له من حملات ولأن الزعامات السياسية الفلسطينية لم تدعمها وتتعاون معها (٧٩).

د) انتفاضة أكتوبر١٩٣٣م:

في هذه الفترة ، تزايدت حركة الهجرة اليهودية بشكل خطير ونشطت الحركة السياسية الفلسطينية، وتزايد معها الشعور بأن بريطانيا هي "أصل الداء وسبب البلاء"، وتأكَد للفلسطينيين أن مشكلتهم هي أساسا مع بريطانيا، لذا طالبتها اللجنة التنفيذية العربية بوقف الهجرة وهددت بتبني سياسة اللاتعاون مع السلطات التي رفضت الطلب .

أضربت فلسطين في يوم ١٣أكتوبر وخرجت مظاهر كبيرة من المسجد الأقصى بقيادة اللجنة التنفيذية العربية وفي ٢٧أكتوبر عمَ الإضراب مجددا فلسطين واندلعت مواجهات عنيفة في يافا بين السلطات البريطانية والفلسطينيين الذين اعتقِل ١٢ من قياداتهم وأصيب موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة بكدمات كان لها الأثر في وفاته في مارس١٩٣٤م.

بات واضحا أن مشاعر العداء ضد بريطانيا قد وصلت حدا كبيرا وكانت هذه أولى الموجهات ضد بريطانيا وسياستها مباشرة (٨٠).

ه) استشهاد الشيخ عزالدين القسام نوفمبر١٩٣٦م:

كان استشهاد الشيخ القسام علامة فارقة في تاريخ فلسطين الحديث. لقد أحدث تغيُرا أساسيا في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية التي انتقلت من حيز العمل السياسي إلى حيز العمل الجهادي وقدَم نموذجا عمليا في التضحية والوفاءلأحد كبارالعلماء.

كان القسام قد قرر إعلان الثورة في نوفمبر١٩٣٥م ضد ازدياد الهجرة اليهودية ونشاط حركة الاستيطان وتهريب السلاح لليهود بكميات ضخمة فخرج مجاهدا في الجبال شمال فلسطين مع نفر من أصحابه، لكن أمره قد كشِف وطوَقته القوات البريطانية بقوة عددها ٤٠٠ رجلا في حين كان القسام بصحبة عشرة من أصحابه.

استمرت المعركة نحو ٤ ساعات أسفرت عن استشهاد القسام مع اثنين من أصحابه وقبِض على ٦ آخرين. شارك في جنازة القسام نحو ثلاثين ألفا وبلغ حماس الجماهير مداه وترددت صيحاتها بالانتقام .

رحم الله القسام الذي كان محقا في نظرته إذ قال قبل ابتداء المعركة أنه وإخواته عبارة عن عود ثقاب كبريت سيشعل الثورة في البلاد وهذا ما كان (٨١) .

و) الثورة الفلسطينية الكبرى١٩٣٦-١٩٣٩:

كشفت هذه الثورة عن روح الاستبسال والإصرار على التمسك بالحقوق مهما بلغت شراسة العدو من جهة وعلى متانة العلاقة بين الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية من جهة ثانية. وقد بلغ من قوة هذه الثورة ما دفع وزير المستعمرات إلى القول : إن فلسطين أصعب بلد في العالم . ووصف مهمَة المندوب السامي والقائد العام للقوات اليريطانية بأنها أشق مهمَة واجهت السلطات البريطانية في أية بلاد أخرى بعد الحرب العظمى. لذا لم تتورَع بريطانيا عن سحق الثورة بكل الوسائل بكل ما أوتِيت من قوة. وتقسَم هذه الثورة إلى مرحلتين تتخللتهما مرحلة توقف أشبه بالهدنة.

كتائب القسام تشعل الثورة عام 1936

بدأت المرحلة الأولى من هذه الثورة بمواجهة بين مجموعة قسَامية قتلت اثنين من اليهود، فاندلعت المواجهات بين العرب واليهود ، فما كان من اللجان القومية إلا أن توحَدت تحت قيادة "االجنة العربية العليا " برئاسة الحاج أمين الحسيني ،وأعلنت مطالبها المعروفة ب: إيقاف الهجرة اليهودية ، منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، وإنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي .

رفِضت السلطات البريطانية هذه المطالب،فبدأت فلسطين كلها أطول إضراب عرفته الشعوب في تاريخ نضالها ، وقد استمر١٧٨ يوما ، مما جعل بريطانيا تتكبَد خسائر بقيمة ٣,٥ مليون جنيه استرليني ،عدا خسائر توقف السياحة والتجارة وهو ما يوازي ميزانية فلسطين لسنة كاملة وقتها.

تبنَى الفلسطينيون سياسة "العصيان المدني"، وازداد عدد الثوار مع ارتفاع في عددالعمليات الثورية المسلحة وقد تميزت هذه الثورة بتطور نوعي من حيث انضمام حوالي ٢٥٠ رجلا من الثوار العرب من العراق ، سوريا، وشرق الأردن .

كان ذلك نتيجة جهود سرية قام بها الحاج الحسيني ورفاقه، وقد تولى أمور هذه الثورة القائد العسكري فوزي القاوقجي ، الذي نظَم الشؤون الإدارية والمخابرات وأسَس غرفة عمليات عسكرية وأقام محكمة للثورة .

لم تنفع الوسائل لا السياسية ولا العسكرية في إيقافها أو إيقاف الإضراب، ولم تتوقَف إلا في ١٩٣٦\١٠\١٢م إثر نداء وجَهه زعماء السعودية والعراق واليمن وشرق الأردن لأهل فلسطين ب" الإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم ".

أرسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية هي "لجنة بيل" للتحقيق في أسباب الاضطرابات.

وبانتظار نتائج توصيات هذه اللجنة وتلبية لنداء زعماء العرب ، دخلت فلسطين في شبه هدنة مؤقتة بين أكتوبر١٩٣٦ وسبتمبر١٩٣٧م لكن الأوضاع ما لبثت أنِ انفجرت إثر صدور توصيات اللجنة الملكية التي أوصت بتقسيم البلاد إلى دولتين عربية ويهودية في حين تبقى الأماكن المقدسة وممر إلى يافا تحت الانتداب البريطاني .

لكن ما فجَر حقا المرحلة الثانية من الثورة التي امتدت ما بين سبتمبر١٩٣٧وسبتمبر١٩٣٩م ،كان اغتيال حاكم لواء الجليل "أندروز" على يد جماعة القسام وهو ما شكَل صدمة للسلطات البريطانية وما اعتبرته إعلانا صريحا للثورة ضد الحكم البريطاني .

بالرغم من اتباع بريطانيا سياسة "القبضة الحديدية"، وعمل كل ما يلزم للقضاء على الثورة من حلٍ للجان القومية وعلى رأسها اللجنة العربية القومية ، إبعاد بعض أفرادها إلى جزيرة سيشل ومن ثم إقالة المفتي الحسيني من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى والقيام بحملات اعتقال واسعة... إلا أن الثورة لم تتوقَف بل على العكس ،فقد وصلت هيمنة سلطة الثورة في بعض مناطق فلسطين خصوصا في شمالها ووسطها إلى حد سير الثوار وهم مسلحون تماما في شوارع نابلس دون خوف ، وأظهر الثُوار قدرة جيدة على التنظيم ،وفعالية في خوض حرب عصابات، وعاقبوا بحسم السماسرة والجواسيس والعملاء.

عاشت السلطات البريطانية أحلك أيامها في صيف ١٩٣٨م إذ قضِي على الجواسيس في معظم المناطق واستطاعت الثورة أن تشكِل في سوريا ولبنان " لجنة الجهاد المركزية " تحت إشراف وتوجيه من الحاج الحسيني.

لم تتوقف الثورة فعليا إلا في أواخر سنة ١٩٣٩م ، أي بعيْد اندلاع الحرب العالمية الثانية،يساهم في ذلك عوامل عدة منها :

أ) قيام بريطانيا باحتلال فلسطين مرة ثانية قرية قرية مستخدِمة كافة وسائل البطش والدمار والعقوبات الجماعية، مستعينة بكافة الوسائل الحديثة لجيش من أقوى جيوش العالم من طيران ودبابات ومدافع وغيرها، يعاونها اليهود ميدانيا في احتلالها .

ب) الإنهاك والإعياء والانهيار الاقتصادي الذي أصاب الشعب الفلسطيني نتيجة ٣سنوات ونصف من المواجهات دون أي عونٍ جاد من بلاد العرب والمسلمين التي كانت هي الأخرى تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي .

ج) استشهاد عدد كبير من قادة الثورة مما أدى إلى نشوب خلافات داخلية فلسطينية حزبية وعائلية ظهرت في أواخر مراحل الثورة، وقد عملت بريطانيا على تأجيج الخلافات واستثمارها بشكل يسيء إلى الثورة ويضِعفها.

يسجَل لهذه الثورة أنها أجبرت بريطانيا على إصدار كتابها الأبيض في مايو ١٩٣٩م الذي وعدت فيه باستقلال فلسطين خلال ١٠ سنوات ، وبإيقاف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، ووضْع قيود مشددة على انتقال الأراضي لليهود وقد كان هذا أحد العوامل التي أسهمت في تهدئة الثورة **(٨٢)** .

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، شُغِلت بريطانيا بمواجهة النازية ، واستغل اليهود الفرصة فأعلنوا مساعدتهم لبريطانيا مقابل أن تطلِق لهم اليد في فلسطين ،ولما رفضت بريطانيا مطلبهم ، انقلبوا عليها وهاجموا معسكراتها الضعيفة في فلسطين ، ثمَ أعلنوا انحيازهم للقوة الجديدة الصاعدة " الولايات المتحدة الأميركية "**(٨٣)** التي أصبحت القوة الأقدر على رعاية المشروع الصهيوني والتي خرجت بعد الحرب العالمية الثانية كأقوى قوة بشرية في العالم فأعلنت تأييدها لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين على لسان روزفلت في ١٩٤٤\٣\١٦م ثم كان مؤتمر "بلتيمور" الصهيوني في ٨ مايو ١٩٤٢م الذي تعهدت فيه : بإقامة دولة يهودية ، رفض الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩م وإقامة جيش يهودي **(٨٣)** وهو وعد شبيه بوعد نابليون سنة ١٧٩٨م ، ووعد بلفور سنة ١٩١٧م .

بذلت الولايات المتحدة كل ما في وسعها لتنفيذ وعدها من خلال قرار التقسيم ١٩٤ وقرارالاعتراف الصادريْنِ تباعاعن هيئة الأمم المتحدة الممثلة للمجتمع الدولي .**(٨٤)**

في ظل المتغيرات الدولية الجديدة التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية ،والتي كان من أهمها إخراج بريطانيا من قائمة الدولتين القويتين العظميتين وظهور أمريكا والاتحاد السوفياتي على الساحة الدولية كأكبرقوتين عالميتين ، كان على بريطانيا أن تشرك حليفتها الولايات المتحدة الاميركية قبل أن تسلمها إرثها الاستعماري في المنطقة .

فلقد شهد عام ١٩٤٧م بداية سقوط الامبراطورية البريطانية وذلك بخروجها من شبه القارة الهندية وكان عليها أن تحافظ على مصالحها في المنطقة العربية عن طريق محاولات التوفيق بين إخراج المشروع الصهيوني إلى حيز الوجود وبين ضمان ديمومة ولاء الكيانات العربية لها ، لذا سارعت إلى تسليم ملف فلسطين إلى أمريكا التي ورثت عنها العلاقة العضوية والاسترتيجية بين الاستعمار والحركة الصهيونية.**(٨٥)**

وقد أدركت بريطانيا النفوذ الكبير الذي تتمتع به الولايات المتحدة في الهيئة الدولية وقد صرَح وزير خارجيتها بيفن في مجلس العموم بذلك قائلا : لا حل إلا بالأمم المتحدة والولايات المتحدة "**(٨٦)** .

وفي سبيل تحقيق الخطوة الأخيرة في مشروعها الاستعماري ، أعلنت في ١٩٤٧\١١\١٣م بواسطة ممثلها الدائم في مجلس الأمن وأثناء مداوالات القضية ، أنها قررت إنهاء الانتداب والانسحاب رسميا من فلسطين في ١٩٤٨\٥\١٥م وحاولت الظهور بمظهر المحايد **(٨٧)**، وأعلنت عدم استعدادها للاشتراك بأي حل لا يقبل به

العرب واليهود معا مما فرض على الأمم المتحدة اتخاذ قرار عاجل ولم يكن أمامها إلا الخيار بين مشروعي الأقلية والأكثرية (٨٨) .

امتنعت بريطانيا عن التصويت على قرار التقسيم١٨١ الصادر في ١٩٤٧\١١\٢٩م إلا أن الدول التابعة لها ، والدول التي تربطها بها صداقات ومصالح صوتت مع القرار(٨٩) الذي قضى بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وتقسيم الأرض إلى ٣ كيانات جديدة :

أ) تأسيس دولة عربية فلسطينية على ٤٥% من فلسطين .

ب) تأسيس دولة يهودية على ٥٥% من فلسطين .

ج)أن تقع مدينتا القدس وبيت لحم في منطقة خاصة تحت الوصاية الدولية .

رفض العرب والفلسطينيون هذا القرار المجحف ولم يعترفوا به ، في حين استحسن معظم اليهود القراروبخاصة الوكالة اليهودية إلا أن المتشددين من الصهاينة من أمثال مناحيم بيغن رئيس منظمة الأرجون الصهيونية وعضوعصابة الشتيرن إسحاق شامير رفضوا المشروع وسعوا بعد ذلك إلى تجاوزه بشن الحملات الحربية التي وسَعت الكيان الصهيوني إلى ٧٧% نتيجة حرب ١٩٤٨م .

يبقى أن نعرف أنَ القرار ١٨١ قد تناقض تماما مع مبدأ حق الشعب في تقرير المصير الذي كانت تنادي به الأمم المتحدة .(٩٠)

استثمرت بريطانيا الشهور الأخيرة في فلسطين بطريقة مكّنت اليهود من الاستيلاء على أمهات المدن الفلسطينية كحيفا وطبريا وصفد ...فعلى سبيل المثال ،أعلنت أنها لن تنسحب من حيفا إلا بعد الأول من آب ١٩٤٨م، أي بعد انتهاء الانتداب بثلاثة شهور ونصف بسبب مصالحها الخاصة ...

في تلك الأثناء ، منعت الفلسطينيين من إقامة تحصينات للدفاع عن المدينة بينما سمحت لليهود بإقامة التحصينات والخنادق وجلب الأسلحة ، وعندما أنهى اليهود استعداداتهم العسكرية ،أعلن القائد البريطاني فجأة في ١٩٤٨\٤\٢٠م عن ِانسحاب قواته إلى منطقة الميناء وسلمت هذه القوات المعسكراتِ التي كانت بحوزتها إلى اليهود ، وبدأ الهجوم اليهودي على المدينة ، وفتحت بريطانيا ميناء حيفا لترحيل الفلسطينيين وشجَعتهم على ذلك بحجة حمايتهم وكانت قد جهَزت سفنها لذلك ، ولقد عدَ بن غوريون سقوط حيفا بأنه كان نقطة التحوُل الرَئيسة في فتح الطريق نحو القدس وفي ميلاد الدولة اليهودية .

وما إن أنهى الفوج الأخير من الجيش البريطاني رحيله من القدس الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٩٤٨\٥\١٤م ، حتى أعلن بن غوريون في قاعة متحف تل أبيب قيام دولة إسرائيل .(٩١)

وهكذا بعد انقضاء ثلاثين عاما من الاحتلال الاستعماري لفلسطين ، شعرت بريطانيا أنها قد أتمَت دورها وقامت بواجبها بعد أن وفَرت لليهود كلَ ما يلزمهم لتأسيس دولتهم العازلة في فلسطين والتي هي في حقيقة الأمر عبارة عن مستوطنة كبيرة قامت على أساس غزو الأرض ونهبها وطرد الشعب الفلسطيني وتشريده في شتى أصقاع المعمورة ، وقد حصل ذلك بموجب رسالة منحت بريطانيا الحق فيها لنفسها في التصرف بمستقبل فلسطين ، منتهكة أدنى حقوق الشعوب بحق تقرير المصير الذي نادت به عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ م ، ومع أن الكثير من رجال التشريع والقانون يتفقون على أن وعد بلفور يعتبر بحد ذاته " عاجزا قانونا " حيث لم يكن لبريطانيا أية حقوق سيادية على فلسطين ولا سلطة التصرف بالأرض ورغم أنه تضمَن خروقات جسيمة للمبادئ الأخلاقية والقانونية فقد تمَ تكريسه في صك الانتداب الأمر الذي شكَل خرقا لمبادئ ميثاق عصبة الأمم رُغم تأكيد محكمة العدل الدولية أن تكريس وعد بلفور في صك الانتداب يعدُ خرقا لحقوق الشعب الفلسطيني حيث أشارت أن الانتداب لا يعني بأي شكل من الأشكال إمكانية تنازل السلطة المنتدبة عن الأرض أو إمكانية تحويل السيادة **(٩٢)** ....

إلا أن الامبراطورية العظمى تجاهلت كل هذه القوانين في سبيل تحقيق أطماعها ومصالحها في المنطقة ولم يجدوا أفضل من اليهود لتحقيق غاياتهم ، فجعلوا منهم السيف الذي سلَطوه على رقبة الشرق الاسلامي ، كما وجد اليهود في الانجليز الجسر الذي سيعبرون به نحو الشرق وذلك كما يصرح وايزمن نفسه : " نحن اليهود الصهاينة كنا نسعى لإقامة دولة لنا في فلسطين وقد انتدبنا الانجليز لحكمها واستعنَا في هذا بعصبة الأمم المتحدة ، فنحن الذين سلَمنا فلسطين للانجليز وليس الانجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك ."**(٩٣)**

واليوم وبعد مرورخمس وتسعين عاماعلى إصدار وعد بلفورالمشؤوم الذي غيَر وجه المنطقة بكاملها وسرقها من بين أهلها، ورغم ما حيك في الماضي لاغتصاب هذه الأرض وما يحاك اليوم لتهويدها وسلخها من محيطها العربي والاسلامي، إلا أنَنا وبعد مرورهذه العقود الطويلة ... لا زلنا نرى أنه كلما ازداد الغاصبون تعنُتا وظلما كلما ازداد أهلها الشرعيون تمسُكا بها وإصراراعلى البقاء فيها والدفاع عنها ، ويسخرالجيل تلو الجيل من كلمات بن غوريون الذي اعتقد أنه بمرورالسنوات سيموت الكبار وينسى الصغار... صحيح أن الكبار ماتوا ولكن الصغار ما نسوا ولا يستطيعون ذلك فجذورهم ضاربة في أعماق هذه الأرض ، إذ أنَ حب الأوطان ليس خيارا إنما هو قدر يولد معنا يوم ميلادنا .

لكنَ ما يهمنا اليوم ليس التباكي على فلسطين ، فالنصر قادم والتحرير قادم لا محالة كما يؤكد شيخ فلسطين رحمه الله مستندا في ذلك إلى وعد الله الذي وعد به عباده المؤمنين المظلومين ففلسطين أرضنا ولكنها ليست بحاجة إلى الحب فقط ...فلا تحررالأرض فالحب فقط لا يحرر أرض ولا يعيد حقوقا مسلوبة ... وإنما تتحرر بالعمل الجاد المستند إلى الإخلاص ، المرتكزإلى العلم ، المستفيد من تجارب الماضي ، والمستنير بالقرآن وهدي الحق وطريق العدل ، ولعله من المفيد دوما ونحن نسير في هذا الدرب الطويل أن نستذكر كلمات أسد الصحراء عمر المختار : " نحن لا نستسلم .... ننتصر او نموت ....وهذه ليست النهاية ... " .

هوامش البحث

(١) بحث في الجذور الثقافية للعنصرية الصهيونية بقلم د. رائد الدبس من الموقع الالكتروني "المركز الفلسطيني للاعلام "

(٢) د. السيد عبد الستار المليجي ،تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ... ص ٦٤-٦٥

(٣) بقلم د. راغب السرجاني من موقع قصة الاسلام قسم بين التاريخ والواقع" هل للدين أثر على علاقة اليهود بأمريكا " – الأحد ٢٠٠٨\١٢\١٤

(٤) بحث في الجذور الثقافية للعنصرية الصهيونية بقلم د. رائد الدبس - الموقع الالكتروني " المركز الفلسطيني للاعلام "

(٥) د. محسن صالح - دراسات منهجية في القضية الفلسطينية - ص ٢١

(٦) القرآن الكريم ، سورة الإسراء- الآية "١"

(٧) حديث متفق عليه

(٨) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية - ص ٢٢

(٩) د. يوسف القرضاوي - القدس قضية كل مسلم - ص ٥٨

(١٠) د.أحمد صدقي الدجاني - الطريق إلى حطين والقدس - ص ٢٣

(١١) د. يوسف القرضاوي - القدس قضية كل مسلم - ص ٥٩

(١٢) الموقع الالكتروني مدينة القدس التابع لمؤسسة القدس الدولية – تعرَف على تاريخ القدس " تاريخ "

(١٣) د. السيد عبد الستار المليجي - تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ...- ص ٣١

(١٤) د. عبد الوهاب المسيري "الصهيونية بعد مئة عام " - مجلة فلسطين المسلمة - العدد الخامس- ص ٧

(١٥) د. محسن صالح - دراسات منهجية في القضية الفلسطينية - ص ٢٧

(١٦) د. السيد عبد الستار المليجي - تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ...- ص ١١٩

(١٧) د. محسن صالح - دراسات منهجية في القضية الفلسطينية - ص ١٦٨

(١٨) د. يوسف القرضاوي - القدس قضية كل مسلم - ص ٦٤

(١٩) نشأة المشروع الصهيوني ومنطلقاته الأساسية من سلسلة كراسات إعرف عدوك (١) – ص ٥

(٢٠) نورالدين عليان – المشهد اليهودي العالمي ومنظماته في فترة إعلان إسرائيل ودور اللوبيات اليهودية في تهويد فلسطين – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ١١

(٢١) موقع الجزيرة نت – المعرفة – أهم الأحداث في تاريخ الهند الحديث والمعاصر – الأحد ٢٠٠٤\١٠\٣- نيللي كمال محمد

(٢٢) عبد التواب مصطفى – نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس – ص ٩٢

(٢٣) المصدر نفسه

(٢٤) د. نبيل محمود السهلي – دور القوى الكبرى في إنشاء الحركة الصهيونية واسرائيل – مجلة فلسطين المسلمة العدد ٥ – ص ١٧

(٢٥) عبد التواب مصطفى – نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس – ص ٩٢+٩٣\ + د. محسن صالح – دراسات مهنجية في القضية الفلسطينية ص ١٧٢

(٢٦) عبد التواب مصطفى – نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس – ص ٩٢

(٢٧) د. محسن صالح – دراسات مهنجية في القضية الفلسطينية ص ١٧٠

(٢٨) المصدر نفسه – ص ١٦٩

(٢٩) المصدر نفسه – ص ١٧١

(٣٠) نورالدين عليان – المشهد اليهودي العالمي ومنظماته في فترة إعلان إسرائيل ودور اللوبيات اليهودية في تهويد فلسطين – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ١٢

(٣١) د. محسن صالح – دراسات مهنجية في القضية الفلسطينية ص ٢٥٨

(٣٢) نشأة المشروع الصهيوني ومنطلقاته الأساسية من سلسلة كراسات إعرف عدوك (١) – ص ١١,١٢,١٣,١٤,١٥,١٦

(٣٣) المصدر نفسه – ص ١٤,١٥,١٦

(٣٤) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٣

(٣٥) المصدر نفسه – ص ٢٥

(٣٦) وسام حسن الباش – وعد بلفور (الحقائق التاريخية) - الموقع الالكتروني تجمع العودة الفلسطيني "واجب "

(٣٧) د. نظام بركات – الاستيطان في الفكر الصهيوني قديما وحديثا – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٥٣

(٣٨) المصدر نفسه

(٣٩) د.راغب السرجاني – الهجرة اليهودية إلى فلسطين – الموقع الاكتروني قصة الاسلام – الخميس ٢٠٠٨\٢\٧

(٤٠) د. نظام بركات – الاستيطان في الفكر الصهيوني قديما وحديثا – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٥٣

(٤١) ابراهيم طرابلسي – الاسلاميون والقضية الفلسطينية – ص ٢٨ -٢٩

(٤٢) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص ٧٦-٧٧

(٤٣) الموقع الالكتروني فلسطين سؤال وجواب – ما هي أهم الأحداث بين ١٨٠٠-١٩٠٠

(٤٤) المصدر نفسه

(٤٥) المصدر نفسه

(٤٦) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٤

(٤٧) عبد التواب مصطفى – نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس – ص ٩٣

(٤٨) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٤

(٤٩) د. السيد عبد الستار المليجي ،تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ... ص ١١٩

(٥٠) المصدر نفسه – ص ٤٣

(٥١) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص ٧٧

(٥٢) المصدر نفسه – ص ٧٨

(٥٣) المصدر نفسه ص ٧٨

(٥٤) د. السيد عبد الستار المليجي ،تحرير فلسطين الثوبت ...المتغيرات ...الواجبات ... - ص ٤٣

(٥٥) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص ٧٨

(٥٦) د. السيد عبد الستار المليجي ،تحرير فلسطين الثوبت ...المتغيرات ...الواجبات ... ص ٤٤

(٥٧) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص ٧٩

(٥٨) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٥

(٥٩) المصدر نفسه – ص ٢٦

(٦٠) المصدر نفسه – ص ٢٥

(٦١) المصدر نفسه – ص ٢٦

(٦٢) المصدر نفسه – ص ٢٦

(٦٣) المصدر نفسه – ص ٢٦

(٦٤) المهندس ابراهيم غوشة – نكبة ١٩٤٨ ومحاولة للفهم – مجلة فلسطين المسلمة – ص ٥٥

(٦٥) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص ٢٩٠

(٦٦) المصدر نفسه ص ١٤٠

(٦٧) د. السيد عبد الستار المليجي - تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ... ص ٧٤

(٦٨) د. راغب السرجاني – قصة بيت المقدس - الموقع الالكتروني قصة الإسلام – الاثنين ١٣\٤\٢٠٠٩

(٦٩) ياسر علي – المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني – ص ٢٢

(٧٠) نورالدين عليان – المشهد اليهودي العالمي ومنظماته في فترة إعلان إسرائيل ودور اللوبيات اليهودية في تهويد فلسطين – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ١٢

(٧١) المصدر نفسه

(٧٢) المصدر نفسه – ص ١٤

(٧٣) ياسر علي – المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني – ص ٢٥

(٧٤) د. السيد عبد الستار المليجي – تحرير فلسطين الثوابت ... المتغيرا ت... الواجبات ...- ص ٤٠

(٧٥) المهندس ابراهيم غوشة – نكبة ١٩٤٨ ومحاولة للفهم – مجلة فلسطين المسلمة – ص ٥٥

(٧٦) د. محسن صالح – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – ص (٢٦٩- ٢٧٠)

(٧٧) المصدر نفسه – ص (٢٧٢-٢٧١)

(٧٨) المصدر نفسه – ص (٢٧٣- ٢٧٦)

(٧٩) المصدر نفسه – ص ٢٧٦

(٨٠) المصدر نفسه – ص (٢٧٦- ٢٧٨)

(٨١) المصدر نفسه - ص ٢٧٩- ٢٨٠

(٨٢) المصدر نفسه – ص (٢٨٠ – ٢٨٧)

(٨٣) د . السيد عبد الستار المليجي ،تحرير فلسطين الثوبت ..المتغيرات ...الواجبات ... ص ١٣٦-١٣٧

(٨٤) نشأة المشروع الصهيوني – سلسلة كراسات إعرف عدوك – ص ٤٦

(٨٥) عبد التواب مصطفى – نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس – ص ٩٤

(٨٦) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٧

(٨٧) ابراهيم طرابلسي – الاسلاميون والقضية الفلسطينية – ص ٣٩

(٨٨) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٧

(٨٩) أحمد عبد الحي – دور الأمم المتحدة في تثبيت وجود اسرائيل وإهدار كيان فلسطين – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٩

(٩٠) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٧

(٩١) الموقع الالكتروني فلسطين سؤال وجواب – كيف بدأ الصراع

(٩٢) د. عبد الفتاح العريسي – دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية (١٩٤٨-١٨٤٠) – مجلة فلسطين المسلمة – العدد ٥ – ص ٢٨

(٩٣) د. نجوى الحيساوي – حقوق اللاجئين الفلسطينيين بين الشرعية الدولية والمفاوضات الفلسطينية الإسرئيلية – ص ١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣

(٩٤) المصدر نفسه – ص ١٥١

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم

٢- حساوي ، نجوى مصطفى ، حقوق اللاجئين الفلسطينيين بين الشرعية الدولية والمفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية ، بيروت – لبنان ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨

٣– الدجاني ، أحمد صدقي ، الطريق إلى حطين والقدس (سلسلة كراسات القدس)، الجيزة – مصر ، مركز الإعلام العربي ، ٢٠٠٤

٤- صالح ، محسن محمد – دراسات منهجية في القضية الفلسطينية – كوالالمبور – ماليزيا ، Fajar Ulung- Professional Eagle Trading Sdn.Bhd - ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣

٥- طرابلسي ، ابراهيم ،الإسلاميون والقضية الفلسطينية ، بيروت – لبنان ، المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٨

٦- علي ، ياسر ، المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني ، بيروت – لبنان ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩

٧- القرضاوي ، يوسف ، القدس قضية كل مسلم ، بيروت – لبنان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠١

٨- مصطفى ، عبد التواب ، نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس ، الجيزة – مصر ، مركز الاعلام العربي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣

٩– المليجي ، السيد عبد الستار ، تحرير فلسطين الثوابت ...المتغيرات ... الواجبات ...، الجيزة – مصر ، مركز الإعلام العربي ،الطبعة الأولى ٢٠٠٢

١٠- مجلة فلسطين المسلمة ، لندن – بريطانيا ، العدد الخامس للسنة السادسة عشرة ، أيار ١٩٩٨

١١- نشأة المشروع الصهيوني (سلسلة إعرف عدوك) ، الصادرعن حركة المقاومة الإسلامية حماس ، كانون الأول ٢٠٠٣

المواقع الالكترونية :

جميع الخرائط والصور مأخوذة من موقع فلسطين سؤال وجواب

١ – الجزيرة نت

٢- فلسطين سؤال وجواب

٣ – القدس (مؤسسة القدس الدولية)

٤ – قصة الإسلام

٥- المركز الفلسطيني للاعلام

٦- مركز العودة " واجب"